6

الاهتمام ببناء شخصية الفرد
وتحسين نوعية التعليم

كان إدخال عنصر بناء الشخصية من أهم الإصلاحات التعليمية منذ التسعينيات، وكذلك إصلاح المناهج وطرائق التدريس، وتقويم العملية التعليمية، ودراسة النتائج وقد كان ذلك من خلال تطويرات لعملية اختيار المختصين. إن عبارة «بناء الشخصية» وتطبيقاتها أثارت نقاشات شعبية مكثفة أدت تدريجياً إلى الإجماع على أن التطبيق الكامل لبناء الشخصية لن يكون ممكناً إلا بعد اختبار أنماط فردية، وبعد خبرات إقليمية.

وبفضل جهود الحكومات المحلية والدوائر التعليمية مجتمعة على كل المستويات، بالتعاون مع المدارس والمجتمعات المحلية استطعنا تحقيق نتائج إيجابية في بناء شخصية الطالب. والعمل جارٍ على إيجاد بيئة اجتماعية تساعد على تنمية شخصية الطالب عبر تحديث مناهج المدارس الابتدائية والثانوية والتربية الأخلاقية اليوم تركز على تحقيق نتائج عملية في إطار أهداف واضحة ومحددة، وبدأت آثار أنشطة التعليم تظهر على نحو كبير، كما تم تأسيس عدد من الأنشطة الشبابية ومراكز العمل الميداني التي سمحت بالمزيد من الأنشطة المنهجية والعمل الاجتماعي بين طلاب المدارس الابتدائية والثانوية.

صاغت وزارة التعليم البرنامج المقترح لإصلاح التعليم الأساسي، ونشرت المناهج الجديدة الخاصة بالتعليم الإلزامي، والتعليم الثانوي للراشدين ونظمت تأليف كتب دراسية جديدة، وقد تحققت نتائج ملحوظة في الأماكن التي خضعت لمدة التطبيق التجريبية، حيث تغيرت طرائق التدريس والتطبيقات التعليمية، وتحولت قاعات الدرس إلى مكان مليء بالنشاط، وتناول المعلومات بين الطلاب والمعلمين، وصار تركيز المدارس الثانوية الأساسي على القيام بالأبحاث، وتم إحراز تقدم في نشر تعليم تكنولوجيا المعلومات، مع زيادة العناية بشخصيات الطلاب ومهاراتهم، ودمج هذه الأنشطة مع الدروس الأخرى، والاستمرار في تحديث أنظمة الامتحانات وتقويم طلاب المدارس الثانوية والابتدائية. إن تحديث محتوى وطرائق امتحانات القبول في المدارس الثانوية ومعايير القبول الجامعي عملية مستمرة.

6.1 ما هو المقصود بعبارة «بناء الشخص»؟

المحاور:

كانت مسألة بناء شخصية الفرد منذ البداية أحد أهم مكونات التربية الوطنية، وهي قضية كانت وما زالت تهم المجتمع، فكيف نشأت هذه القضية؟

لي لانكينغ:

منذ ولادة الصين الجديدة، وتحديداً بعد تبني الدولة لسياسة الإصلاح والانفتاح على العالم الخارجي، بدأت الحكومة تهتم بتحسين الأوضاع الاجتماعية والمعيشية للشعب. وفي أيار عام 1985 صرح دينغ جاوبينغ في أثناء المؤتمر القومي الأول بعد تبني سياسة الإصلاح والانفتاح قائلاً: «إن منعة الوطن والتنمية الاقتصادية المستدامة يعتمدان بالدرجة الأولى على المهارات والمؤهلات العلمية لليد العاملة، وعلى عدد المثقفين».

وقد نصت القرارات العشرة بهذا الشأن على ما يلي: «فيما يخص إصلاح النظام التربوي، يجب النظر إلى عملية الإصلاح باعتبارها الهدف الجوهري في تحويل كل فرد إلى عنصر فاعل في المجتمع والعمل على تربية المزيد من المواطنين المنتجين». وقد حددت هذه الرؤية مفهوم بناء الشخصية.

لقد علقت القيادة المركزية وعلى رأسها (جيانغ زيمين) أهمية كبرى على هذا المفهوم، وقد أوضح (جيانغ زيمين) في تقريره للمؤتمر القومي الرابع عشر للحزب عام 1992 قائلاً: «إن التقدم العلمي والتكنولوجي والازدهار الاقتصادي والثقافة الاشتراكية أمور ترتبط بصورة أساسية برفع مستوى العاملين كماً ونوعاً في شتى المهن.

يجب أن يحتل التعليم مكاناً إستراتيجياً أولَ في عملية التطوير، ويجب أن نجاهد في سبيل الارتقاء بالمستويات الثقافية والعلمية، المعنوية، والإيديولوجية، وهي الإستراتيجية الجوهرية في تحديث الدولة والمجتمع». وأضاف في تقريره للمؤتمر القومي الخامس عشر عام 1997 قائلا: «إن تربية مئات الملايين من العمال المؤهلين، وتخريج ملايين المختصين،

ورفد الموارد البشرية لَهِي العامل الحاسم في تحقيق التقدم الاجتماعي لمواجهة القرن الـ21» وملخص قوله: إن الهدف الأساسي من تطوير التعليم هو تعزيز البنية الوطنية.

المؤلف يشارك في درس عملي في مدرسة في ينتاي (إقليم شاندونغ)، في أثناء المؤتمر الوطني حول تكوين شخصية الطالب في المدارس الابتدائية والثانوية، أيلول/ سبتمبر، 1997

أصدرت الحكومة المركزية في إطار خطة تطوير وإصلاح التعليم الصيني في 13 شباط/ فبراير 1993 ما يلي: «على المدارس الابتدائية والثانوية أن تغير أسلوبها في التعليم بحيث لا يكون مجرد إعداد الطلبة لاجتياز الامتحانات وأن تعنى أكثر ببناء شخصية الطالب وتنمية قدراته العلمية والثقافية، والأخلاقية والإيديولوجية، والعمل على صقل مهاراتهم العلمية، واستعدادهم الجسدي والنفسي للأخذ في الحسبان خصوصية كل طالب وسلوكه».

وفي عام 1994 أكد المؤتمر الوطني للتربية والتعليم على هذا التحول، واعتُمِد على ضرورة بناء الشخصية على نحو رسمي أول مرة في وثيقة للحكومة المركزية في إطار «مشروعات تعزيز وتحسين التربية الأخلاقية في المدارس في الدورة الرابعة للمؤتمر الشعبي الثامن عام 1996، حيث تمت المصادقة على الخطة الخمسية التاسعة الخاصة بالتطوير الاجتماعي والاقتصادي

الوطني وتحديد الأهداف طويلة الأمد حتى العام 2010. واتخذت الجلسة الثالثة في اللجنة المركزية للحزب الخامس عشر في تشرين أول 1998 قراراً يتبنى مفهوم تربية الشخصية، وقد شدد كل من (لي بينغ) و(زهورونغي) على هذا المبدأ في تقاريرهما الحكومية التي رفعت إلى مؤتمر الشعب العام الذي انعقد في عامي 1998 و1999 على التوالي.

وفي عام 1999 صدرت التوجيهات الرسمية مع بدء تنفيذ «خطة عمل للنهوض بقطاع التعليم مع بداية القرن الـ21» التي وضعتها وزارة التعليم، كما وضع مجلس الدولة مشروع بناء الشخصية عبر القرن الجديد مشيراً إلى ضرورة الانتقال من المشروعات التجريبية لتحديث النظام التعليمي برمته، مما يعني تنفيذ مبدأ الحكومة المركزية في التعليم من خلال الوصول به إلى مستوى الامتياز، وذلك بتحديث المناهج والكتب الدراسية، ومراجعة نظام التقويم المتّبع وزيادة عدد المعلمين.

زيارة منزلية للبروفسور كي غونغ الباحث المعروف بإنجازاته في الدراسات الصينية والشعر وفنون الخط، والرسم الصيني التقليدي، 27 كانون الثاني/ يناير 2001

في شباط 1996 دعت وزارة التربية إلى دراسة تجربة (ميلو) في إقليم (هونان) في بناء الشخصية. وعقدت مؤتمراً وطنياً في(يانتاي) في أيلول 1997 لتبادل الخبرات بين المدارس

الابتدائية والثانوية، وفي عام 1999 نشرت الحكومة المركزية قرارات تحث على تعميق الإصلاح والارتقاء ببناء الشخصية، ومن ثَمَّ دفعها إلى مرحلة جديدة من التقدم العظيم.

في أثناء الاحتفال بالعيد المئوي لجامعة (بكين) لتأهيل المعلمين عام 2002 أكد (جيانغ زيمين) مرةً أخرى قائلًا: «إن الغاية الأساسية من الإبداع التعليمي هو الارتقاء ببناء الشخصية ومستوى التعليم في المجالات كافة. ويجب أن نغير مضمون التعليم وطرائقه، وبناء نظام مميز قادر على تخريج مختصين محترفين والاستفادة من الإنجازات الأخيرة في العلوم الطبيعية المعاصرة، وإنجازات العلوم الاجتماعية والإنسانية. إن المطلوب هو تحديث طرائق التعليم على قاعدة تطوير قدرات الطلاب في المجالات كافة وإلهام روحهم الإبداعية، ورعاية العلاقة التي تربط الطلاب والمعلمين وتحقق الانسجام الكامل بينهما، وإيجاد البيئة التعليمية والاجتماعية الجيدة التي تسمح ببروز المواهب ونموها، بحيث يستطيع كل طالب تقديم أفضل ما لديه من طاقات، وعلى تحقيق التطور الذاتي الكامل».

في رسالته إلى مجلس الحزب الوطني السادس عشر في عام 2002 أعلن جيانغ : «أنَّه لا بد من متابعة المسيرة، وتعميق الإصلاح التعليمي، والارتقاء ببنيته، ولا بد من توزيع الموارد التعليمية على أسس سليمة، وتحسين نوعية وإدارة التعليم. ويجب أن نعنى ببناء شخصية الفرد من الجوانب كافة، ونرعى مئات الملايين من العمال الأكفاء، ومئات الملايين من المختصين وغيرهم من العاملين ذوي القدرات المبتكرة العالية».

إن ما جعلني أذكر هذه الوثائق والتوجيهات الصادرة عن القيادات العليا حول موضوع بناء شخصية الفرد هو أنني أردت أن أبيّن لكم أن التقدم في هذا المجال يتطلب تحرير الطاقات المبدعة وتشجيع الابتكار، والسبيل الذي ينبغي اتباعه لتحويل مواردنا البشرية الهائلة إلى موارد مِعْطَاءَةٍ، هذا ما أطمح إليه في إطار الإستراتيجية الكبرى التي اعتمدتها الحكومة المركزية لتحقيق الأهداف القومية. وبعد سنوات من العمل الجاد، لم يعد مبدأ «بناء شخصية الفرد» مجرد شعار بل حقيقة تحظى بدعم المثقفين والمجتمع في أرجاء الصين كافة.

ولقد تبلور مفهوم بناء الشخصية من خلال التجارب على أرض الواقع المعيش، ولقد أيدته الدراسات النظرية والعلمية لعدد كبير من المثقفين والباحثين والأفراد على اختلاف مشاربهم، وهذا التبلور في هذا المنطلق نتاج الحكمة الجماعية.

إن الدعم الجماهيري الواسع لمبدأ بناء شخصية الفرد جعلت منه خياراً حتمياً لأمتنا في الحقبة التاريخية الجديدة من التعليم والإصلاح.

6.2 ما هي مسوّغات التركيز على بناء شخصية الفرد؟

المحاور:

ذكرت موقف أين المجتمع من تطبيق تربية الشخصية، وقلت: إنها خيار حتمي للصين في الحقبة التاريخية الجديدة من إصلاح وتطوير التعليم، فهل بإمكانك شرح ذلك؟

لي لانكينغ:

إن كل الجهود المبذولة لبناء الاشتراكية الصينية، وتحقيق نهضة شاملة تعتمد على مدى استعداد الشعب لتقّبلها.

هناك بلدان فقيرة الموارد تحولت إلى دول قوية بفضل مواردها البشرية، وثمة عوامل مشتركة بين هذه البلدان:

أولها: التركيز المتزايد على تطوير الموارد البشرية ورفع مستوى التعليم بوصفه خياراً إستراتيجياً بالدرجة الأولى.

وثانيها: التغيير الجذري لمفاهيم التعليم، انطلاقاً من فكرة أن الذكاء ليس العامل الوحيد الذي يضمن النجاح، بل إن النجاح في أي عمل يتوقف على عوامل أخرى إلى جانب الذكاء مثل: فريق العمل والدافع الذاتي للمرء والقدرة على مواجهة الطوارئ وأساليب التفكير.

عندما تحدثت مع نائب رئيس الحكومة السابق (شيمون بيريز) في أثناء زيارتي لإسرائيل، قال: إنّ التربية الحديثة يجب أن تعلمّ التلاميذ ثلاث مهارات: متابعة التعلُّم، كيفية التعامل مع أناس من خلفيات متنوعة، ومتابعة العمل في ظل الظروف المتغيرة. وفي حديثه عن التعليم تحدث عن رَيِّ الأراضي، والمعلوم أن إسرائيل تفتقر إلى الماء وظروفها الطبيعية قاسية، لكنها بالرغم من ذلك عملت بجهد لتطوير اقتصادها وذلك عبر تطوير العلم والتعليم، وحققت تقدماً كبيراً في تنمية مواردها البشرية.

والجدير بالذكر هو ما حققه البحث العلمي في إسرائيل، وخاصة اكتشافهم للجسيم النووي السادس Sixth quarity الذي يُعدُّ إنجازاً علمياً مهماً أعلن عنه عام 1995، وذلك بفضل الجهود المتضافرة لفريقي عمل مؤلفين من 800 باحث.

وتنطبق هذه الحالة على رسم خريطة «الجينوم الوراثي» التي اكتملت عام 2001. فبعضهم امتلك الذكاء وبعضهم الآخر امتلك المعرفة. وإن نظرةً إلى العلماء البارزين وإلى من فيهم من العلماء الصينيين تجعلنا نعي بأنهم لم يحققوا الكثير فحسب، وإنما كانوا يتمتعون أيضاً بثقافة واسعة.

المعرفة هي جزء مهم من شخصية الفرد، ونحن بحاجة لتغيير مفهومنا للتعليم إذا أردنا أن يحظى طلابنا بثقافة واسعة. ويجب أن نمسك القضية من جذورها، فالأطفال عموماً يأتون من عائلات ليس لديها غير طفل وحيد؛ لذلك فهم يتلقون العلم والرعاية على نحو أفضل من الجيل الذي سبقهم، لكن يجب أن نحذر من إفساد الطفل عبر الإفراط في الدلال من قبل العائلة والمجتمع.

إذا كان بمقدور أمتنا مواجهة تحديات المنافسة العالمية بقواها الذاتية الهائلة في القرن الحادي والعشرين، بحيث تتحول طموحات الحكومة المركزية إلى واقع يعتمد على إمكانياتنا في تنمية مواردنا البشرية، وإنشاء جيل متعلم يتحلى بأخلاق رفيعة وإحساس عالٍ بالمسؤولية والانضباط، نكون قد حققنا مأربنا.

إنه لمن الضروري أيضاً أن يصبح التعليم إحدى أدوات التحوّل الذي ننشره في النظام الاقتصادي ونمط نموه. لقد دخلت أمتنا مرحلةً جديدة من التطور التاريخي، يتم فيها بناء المجتمع المزدهر. وهذا يستدعي تطبيق إستراتيجية نهضوية عبر العلم والتعليم كما يستدعي إحداث تغيرات أساسية في النظام الاقتصادي وفي نمط التنمية، وذلك باستثمار العلم والتكنولوجيا، ورفع مستوى مؤهلات العمال، وتحسين كفاءة العمل والعائدات الاقتصادية.

أما بالنسبة لنظامنا التعليمي ودوره في إحداث التحولات الجذرية المطلوبة فيجب تحديث أساليب تخريج الخبراء، وتحقيق كفاءة أعلى وأوسع في توعية الإدارة المدرسية. أعود فأقول: إن الارتقاء بالتعليم الابتدائي والثانوي ينطلق من تربية الفرد دون إنكار دور

التعليم الأساسي. إن التَّعَلُّمَ من تجارب الماضي سيمكننا من تحديث التعليم الأساسي على الوجه المناسب الذي يلبي متطلّبات العصر.

لقد أكدنا على مبدأ نهضة الأمة عبر العلم والتعليم، لكن هل يمكن لأي طريقة في التعليم أن تخدم الهدف؟ وهل يجدي التعليم المعتمد على نظام الامتحانات الرسمية في تحقيق النهضة المطلوبة؟وأخيراً، هل يمكن للتعليم التنموي غير المتوازن أن يكون بديلاً؟ كلا. إن بناء شخصية الفرد هو الوسيلة الوحيدة لرفع مستوى القوى العاملة والنهوض بالمجتمع.

إن الإصرار على بناء شخصية الفرد قبل كل شيء أصبح اليوم ضرورة ملحة، تنسجم مع جهودنا لترسيخ الأخلاق الاشتراكية ونشر الثقافة والوعي السياسي الذي يؤدي إلى ازدهار المجتمع في مختلف نواحي الحياة، ومن دون الارتقاء بالمستوى الثقافي للجماهير لن نتمكن من تلبية طموحاتهم في بناء الاشتراكية الصينية، وسيكون من المستحيل إحراز التقدم الذي نَتَطَلَّعُ إليه على مختلف الأَصْعِدَة.

إن إنجازات أمتنا في إصلاح وتطوير التعليم واضحة للعيان، ولكن الأسباب موضوعية وذاتية. فما زال نظامنا التعليمي يفتقر إلى رؤية واضحة في موضوع: وظيفة المؤسسة وطرق تدريب الطلاب ومضمون وطرائق التعليم.

وهذا يؤخر التطور الشامل لشبابنا، ويُؤَخِّرُ الاستفادة من طاقاتنا البشرية من أجل الاشتراكية ومن أجل مشروعنا النهضوي، فإن المجتمع برمته مدعو إلى تعميق الإصلاح التربوي، وبناء شخصية الفرد وبذل ما يملك من طاقة كامنة في سبيل إرساء دعائم نظام تعليم اشتراكي يلائم خصوصية المجتمع الصيني ويشكل قاعدة فكرية تمهد لتطبيق إستراتيجية تحقيق النهضة الشاملة، وتقوم على تطوير قطاع التعليم ونشر العلم.

6.3 ما هي مستلزمات بناء شخصية الفرد؟

المحاور:

الجميع يتحدث عن موضوع «بناء شخصية الفرد»، فماذا يستلزم هذا المفهوم؟

لي لانكينغ:

بناء الشخصية يعني تنمية قدرات قوى الشعب العامل وتشجيع الإبداع في صفوف الطلاب، وزيادة مهاراتهم العلمية، وتحويلهم إلى بناة نموذجيين للاشتراكية على الصعيد الأخلاقي والفكري والبدني والفني، ويفترض أن يتحلّوا بالمسؤولية وبالانضباط.

إن جهود تطوير بناء الشخصية يجب أن تواكب عملية التحديث الجارية، والتطور العالمي الحاصل والذي سيحصل. بحيث يصبح الفرد قادراً على التوحيد بين العلم والمعرفة والتعلم وبناء الشخصية ذاتياً وإيديولوجياً، وأن يجمع بين: المعرفة التي يستقيها من الكتب والممارسة الاجتماعية، وبين قيمه الخاصة وخدمة الشعب والوطن الأم، وبين الفضائل الرفيعة والعمل الدؤوب.

إن التحدي الذي نواجهه يكمن في تغيير البيئة والشروط التي تضمن تفعيل الوسائل الملائمة لبناء شخصية الفرد، وضمان حق الطفل في التعليم وفقاً للقانون، وتنشئته وفق صفاته الفردية الخاصة، والوضع النفسي، وتنمية روح المبادرة، والأهم من كل ذلك رعاية روح الإبداع والمهارات العلمية لديه.

تنطلق تربية الشخصية ابتداءً من مرحلة الحضانة، الابتدائي والثانوي، التعليم المهني تعليم الراشدين، والتعليم العالي من ثَمّ في العائلة والمجتمع، بذلك نستطيع ضمان نمو الفرد بطريقة متكاملة ومليئة عبر حياته الدراسية والمهنية.

على أي حال فان تربية الشخصية تعتمد على ثلاث نقاط أساسية:

1- الاهتمام بكل الطلاب دون استثناء: إن قانون التعليم ينص على: «تكافؤ الفرص المتاحة لجميع المواطنين وحقهم في طلب العلم وفق القانون»، وهذا يعني أن الدولة مسؤولة عن توفير الفرص المتساوية للأطفال الذين بلغوا السن القانونية. كما يجب على المعلمين الالتزام بمساعدة كل طالب دون استثناء على تنمية قدراته الجسدية والعقلية.

2- إن الغاية الجوهرية من التعليم الأساسي الإلزامي على وجه الخصوص هي توفير أرضية صلبة صالحة لتنمية شخصية الفرد وإدراكه وإعداد كل طفل لمواجهة الحياة الاجتماعية والمستقبل.

3- إن الهدف من تنمية شخصية الفرد هو تطوير قدرات الطالب على الأصعدة كافة، وهو أمر جوهري يقع في قلب عملية التنمية التي ينبغي أن تكون متوازنة عبر تركيزها على مقومات الطالب الفيزيائية النفسية، والإيديولوجية، والثقافية، وزرع حب المعرفة لدى الطالب. لا شك أن الامتحانات ضرورية بوصفها وسيلة لتقويم الطلاب، لكن المشكلة تكمن في اعتبار الطالب أن النجاح في الامتحانات النهائية هو الهدف، ومن ثَمَّ يهمل التربية المعنوية والأخلاقية، ولايلتفت إلى صحته مما يؤدي إلى عواقب غير محمودة ومن ثمَّ يحصل تطور غير متوازن.

ما أريد إيضاحه هنا هو أن التطوير الشامل لا يعني التطوير المتساوي على كل الصعد، بل يعني التطوير المتوازن، وتربية الشخصية تعني رعاية الطلاب المسلحين بالقيم الأخلاقية وبالصحة الجسدية والمعنوية، وبالمعرفة الغنية والمهارات المختصة، وبالتفكير المنفتح والمهارات العملية القوية.

تربية الشخصية تعني تعليمهم كيف يدرسون، ويعملون، ويبتكرون، ويعيشون، ويحافظون على سلامتهم العقلية والجسدية، ويقدرون الجمال؟

إن تنمية الشخصية كأحد مكونات التعليم تدفع التطور الفردي السليم للطلاب. لا شك أن القدرات الذهنية تختلف من فرد إلى آخر ولكن المجتمع بحاجة إلى مختلف أنواع المواهب، والهدف الأساسي من تربية الشخصية هو إتاحة الفرصة للأطفال لاستخدام طاقاتهم الطبيعية في أثناء دراستهم في المرحلة التحضيرية، وسأتحدث هنا عن حادثتين تركتا في نفسي أثراً عميقاً:

الحادثة الأولى: في زيارة لمدرسة ثانوية في(نانجينغ) تحدثت إلى الطلاب والمعلمين وفجأةً سمعت أحدهم ينادي: «أيها الجد» فالتفتُ فإذا بفتاة تحاول اختراق جموع الطلبة للتحدث معي، فطلبت من الحضور إفساح المجال لها. وأخبرتني هذه الفتاة أنها كانت طالبة وتعمل مراسلةً لصحيفة طلابية، وبعد أن أجبتُ عن أسئلتها شكرتني وغادرت.

ولمَّا كانت هذه الأمور تتكرر كثيراً في أثناء زياراتي المدرسية لم أكترث كثيراً للأمر، ولكن المفاجأة أنه بعد عامين أو ثلاثة كنت في زيارة تفقدية لجامعة فودان وهناك أنبأني أحد الطلاب أن تلك الفتاة تدرس حالياً الصحافة، وهي في طريقها إلى التخرج لتمارس عملها

مراسلةً صحفية، وقد سررت برؤيتها هناك، وقبلت هديتها بامتنان، ولقد كانت عبارة عن نسخة من كتابها مجموعة نثرية.

وقد قرأت الكتاب الذي استهلته بمقدمة تلخص تجربتها ولقاءها في أثناء زيارتي التفتيشية في (تانجينغ). لقد كان أسلوبها مفعماً بالحيوية وحسّ الفكاهة، وقد شعرت بالسعادة الغامرة؛ لأن موهبة صحفية أخرى على وشْك الولادة في بلدنا.

الحادثة الثانية: في أثناء زيارتي لمدرسة ابتدائية في (جينغ جو) أقام الطلاب حفلة موسيقية لاستقبالي، ولفت نظري طفل لا يتجاوز سن العاشرة يعزف بمهارة على الكمان، فسألته: ماذا يحب أن يكون في المستقبل، فأجاب دون تردد: عازف كمان، وعندما سألته لماذا لا ينتسب إلى الثانوية التابعة لمعهد الموسيقا في (بكين) فأجاب: بأنَّه ذهب إلى هناك لإجراء امتحان القبول لكنه رسب بسبب علامة واحدة، وذلك لأنَّ إصبعه كانت مجروحة، فشعرنا جميعنا بالأسف تجاه الأمر. وبناءً على توصية وزير التعليم تشين جيلي ذهب الطفل إلى (شنغهاي) حيث نجح في امتحان القبول، وانتسب إلى الثانوية التابعة لمعهد شنغهاي للموسيقا، وتمنينا جميعاً أن يتابع دراسته وأن يحقق حلمه وأن يساهم في تطوير الموسيقا في الصين.

المؤلف يراقب نشاطاً طلابياً لتكوين الشخصية في مدرسة ابتدائية في ميلو (إقليم هونان)، حزيران 1996

في أثناء زيارتي للمعهد الموسيقي في إقليم «هينان» سألت الموسيقيين فيها الأسئلة الآتية:

1- من هو مخترع النوتة الموسيقية المرقمة؟ وكيف دخلت إلى الصين؟

2- من الذي اخترع النوتة 12 المناظرة في الموسيقا؟

وأذكر أنه في صيف ذلك العام وصلتني منهم مقالة يجيبون فيها عن الأسئلة التي طرحتها ويشرحون كيف وصلت إلى الشرق، ويذكرون أن جان جاك روسو (1712 - 1778) هو أول من رقّم النوتة الموسيقية الحديثة.

لقد ذكرتني هذه الأشياء بحقيقة وجود عدد لا يحصى من الموهوبين الذين قد نخسرهم إذا لم نهتم ببناء شخصية الفرد على الأصعدة كافة، وإذا لم يخفف من أعباء الدراسة التقليدية الشاقة والروتينية، بالطبع لدينا نظام اختبار يلائم الطلاب ذوي المهارات الاستثنائية، ولدينا أيضاً كليات متخصصة، وكل أشكال معاهد التدريب والثقافة والمهن، ولكن من دون التدريب والتطوير الذاتي في أثناء مدة الدراسة الأساسية ستكون المواهب عرضة للضياع قبل أن تصل إلى مرحلة التعليم العالي.

ولهذا السبب اقترحت على وزارة التعليم إضافة مواد وحلقات جديدة للطلاب الموهوبين في الثانويات مثل: الموسيقا، والدراما، والرقص، والاتصالات، والفنون التشكيلية، واللغات الأجنبية، والأدب، حتى تكون شروط الانتساب إلى تلك الحلقات أسهل من الشروط المماثلة في الجامعات، وحتى يتوافر الوقت الإضافي للطلاب من أجل التدريب المختص. إنَّ مواهب الطلاب تبدأ في الظهور في أثناء المرحلة الثانوية الكبرى لذلك لا بد من إيجاد الظروف التي تسمح بهامش اختيار واسع من المناهج المتوافرة للطلاب وفق طموحات ورغبات الطالب، وفي الوقت الحالي يمكن العمل على نظام الوحدات الدراسية على أسس تجريبية إذْ يمكن للطالب إضافةً إلى دراسته العلوم الأساسية الضرورية، دراسة مواد أخرى وفق ميوله.

في أثناء زيارتي إلى (ميلو) في أيار 1996 لمست جهوداً تبذل للتركيز على بناء شخصية الفرد عبر تدريس الموسيقا والتربية البدنية والفنون في المدارس الثانوية في البلدة، واليوم يمارس الرياضة البدنية 99% من إجمالي الطلاب، وأصبح العديد من الخريجين من ذوي

المهارات الخاصة في المقدمة. وفي أثناء 13 سنة من بدء تطبيق برنامج بناء شخصية الفرد انخفض عدد الجنح بين طلاب الابتدائيات والثانويات إلى الصفر. وهناك مناطق أخرى نجحت في تحقيق نتائج مماثلة، وأصبحت لدي القناعة بإمكانية تطبيق النهج نفسه في أنحاء الوطن كافة.

6.4 التخُلص من أسلوب التعليم الذي يركز فقط على النجاح في الامتحانات

المحاور:

إن الأهالي والمجتمع يتقبلان فكرة بناء شخصية الفرد إلى حد كبير، لكن بعضهم غير مرتاح لطروحاتنا، فما هو تعليقك؟

لي لانكينغ:

بدأت أهمية بناء الشخصية تحظى برضا واستحسان الكثيرين، ولكن لأسباب معينة، فالتعليم الذي يركز على اجتياز الامتحانات ما زال متّبعاً في التعليم الأساسي، إذْ يتم تعليم التلاميذ تقنية الإجابة عن أسئلة الامتحان، دون الاهتمام بتطوير ملكاتهم الفكرية أو الفنية، وصقل شخصية الفرد لا يعني الاستغناء عن الامتحان بل التركيز على الهدف الأساسي من التعليم: التطوير الشامل لشخصية الطالب.

إن طريقة التعليم لمجرد اجتياز الامتحان ليست توجهاً عاماً، لكننا مع ذلك نسعى لمكافحة هذا التوجه أينما وجد، والسبب الحقيقي لهذا التوجه يكمن في نقص الموارد التعليمية والأدوات في المدارس الثانوية والجامعات؛ مما أدى إلى تزاحم شديد ومنافسة حادة على النجاح في امتحانات القبول الجامعية والمدرسية، وهنا لا ينبغي إلقاء اللوم على المديرين والمدرسين.

ولكي ننجح في بناء شخصية الفرد وتنميتها تنمية متوازنة فكرياً وجسدياً وأخلاقياً، يجب أن تتعاون مستويات التعليم كافة، والمطلوب من المدارس عدم إهمال التربية الفكرية والأخلاقية، والعناية بالناحية الجمالية، بما في ذلك التربية البدنية وتهتم بهذه الجوانب

تماماً مثل اهتمامها بالتطبيق العلمي والمهارات العملية، وذلك لتحقيق التطور المتوازن لطلابنا. إذا لم يتم الاهتمام بهذه القضايا فإن الجهود المبذولة لتحقيق التوعية الشاملة للطلاب سوف تتأثر، وسيكون التعليم حينها عاجزاً عن مواجهة تحديات القرن الـ21 على الصعيد التكنولوجي والعلمي والاقتصادي الاجتماعي.

6.5 تربية الشخصية وتطوير العقل منة الجوانب كلِّها.

المحاور:

هل كانت فكرة تربية الشخصية مجرد فكرة أملتها سياسة معينة؟ أم أنها تقوم على أسس نظرية؟

لي لانكينغ:

إن تربية الشخصية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتطوير الشامل للعقل البشري. وبفضل الدراسات التي أجريت على الدماغ أصبحنا نعرف المزيد عن تطور العقل البشري والقوانين التي تحكم عمله، وكان هذا مصدر إلهام في موضوع بناء شخصية الفرد.

والدماغ البشري كان موضع دراسة استمرت عشرات السنين في الدول المتقدمة، ولقد قطع علم الدماغ البشري شوطاً بعيداً وخاصة في العقد الأخير. واليوم نعرف أكثر من أي وقت مضى عن وظائف الدماغ، وهناك وعي متزايد لدى الجماهير حول هذا الموضوع؛ لذلك سُميت التسعينيات «عقد الدماغ»؛ وتظهر الدراسات أن الإدراك والمعرفة البشرية والعواطف واتخاذ القرارات والسلوك كلها مرتبطة دون استثناء بالعمليات البيولوجية الدماغية.

قام عالم النفس وخبير الأعصاب الأمريكي (روجرولكون سبيري 1913-1994) وتلاميذه بإجراء تجارب على جزئي الدماغ، إذْ قام بفصل مجموعات الأربطة التي توصل فصي الدماغ في بعض الحيوانات، ووجد أن تلك الحيوانات تستطيع العيش بصورة طبيعية نتيجة لقدرة كلا الفصين على التكيف مع الحالة المستجدة.

وفي عام 1962 عالج مشفى لوس أنجلوس أحد الجنود إذْ كان يعاني حالة صرع خطيرة، فقام الأطباء بفصل مجموعات الأربطة لمنع المادة المفرزة من الانتشار إلى الأجزاء الأخرى

للدماغ، فلما قاموا بفصل هذه الأربطة زال التقلص العضلي على الفور، أُجْرِيَ الشيء نفسه في حالات جراحية مشابهة فنجحتْ. وقد طُبِّقَتْ العملية ذاتها على دماغ رجل واكتشف عدم التماثل الوظيفي بين فصي الدماغ، وعدة وظائف مهمة للفص الأيمن. وفي عام 1981 حاز على جائزة نوبل لاكتشافاته المتعلقة بوظائف فصي الدماغ البشري.

إن دراسات كهذه كشفت لنا أن النصف الأيمن من المخ يمكن أن يؤدي تدريجياً الدور الذي يقوم به النصف الأيسر للمخ في حال تعرض هذا الجزء للتلف بسبب ما والعكس بالعكس. ويعتقد العلماء أن الجزء الأيسر للدماغ يختص بوظائف معينة تختلف عن وظائف الجزء الأيمن.

لقد قرأت في أثناء السنوات القليلة الماضية أبحاثاً وأطروحات عن هذا الموضوع، وتناقشت مع خبراء في هذا الميدان، ويبدو أن هناك وظائف مشتركة بين النصفين الأيمن والأيسر للدماغ لكن الأمر لم يحسم بعد. ويمكننا تسخير هذه المكتشفات بحيث نستفيد من قدرات الدماغ واستخدامنا له في مجالات عدة مثل المنطق واللغة والرياضيات والموسيقا والحركة والرسم. ومن المعروف أنك كلما استخدمت دماغك ازداد نشاط الخلايا وتسارع نمو الخلايا العصبية، بمعنى آخر، استخدامك لدماغك يحسن أداءه.

والاستنتاج الآخر الذي توصلت إليه هو أن شبكة الأعصاب وفاعليتها في نقل الإشارات عبر خلايا الدماغ أمر يرتبط بالوراثة والبيئة التي نشأ فيها الفرد. إن الدماغ البشري مِطْوَاعٌ في حياته، لكن هذه الطواعية تبدو أكثر شدة في مراحل معينة. إذاً يجب أن نعي القوانين التي تحكم هذه التغيرات في الدماغ عندما نعلّم طلابنا.

كان التعليم فيما مضى يعتمد على التلقين والتكرار والاستظهار على حساب التفكير والتحليل، وهو العامل الأهم في نجاح الطالب في المستقبل. لهذا السبب يجب أن يركز التعليم على التطوير الشامل للعقل البشري، وعلى التفكير المنطقي التحليلي جنباً إلى جنب مع التدريب على التفكير الذي يستخدم المخيلة أو البصيرة.

لقد أجريتُ شخصياً بعض التجارب انطلاقاً مما قرأته في الكتب، فمثلاً: إذا أُعطيتَ 15 كلمة لا ترتبط منطقياً ببعضها فستجد صعوبةً في حفظ كل منها أو في تذكر ترتيبها

بطريقة التفكير المنطقي، لكن إذا استطعت كتابة جملة مكونة من هذه الكلمات، بغض النظر عما إذا كان لها معنى أم لا، فستكون قادراً على تذكرها كلها وستتذكرها بالترتيب، فما هو السرّ وراء هذه الظاهرة؟

إن الأمر يشبه كتابة نص تلفازي مؤلف من 15 كلمة وتسجيله على شريط فيديو في دماغك، فعند تشغيل الشريط سوف ترى الكلمات الـ 15 الواحدة تلو الأخرى. وقد اكتشفت أنه بكتابة قصة قصيرة تحوي هذه الكلمات يجعل من السهل تذكر الكلمات، بغض النظر عن سخافة القصة. والكلمات التي اخترتها كانت: فشار ومكتبة وكلب وحقيبة مدرسية وشجرة وشمس وصخرة وسيارة إسعاف ومعكرونة معلبة وتلفاز وعود أسنان ومنديل وهاتف وإنذار الحريق وأمتعة. ولكي أتذكر هذه الكلمات بالترتيب كتبت القصة الآتية:

«كنت أتناول الفشار، وأنا في طريقي إلى المكتبة، لِقِيْتُ كلباً، فبدأ بملاحقتي، فأخذت أركض، وسقطت مني حقيبتي المدرسية، وبقي الكلب يطاردني فتسلقت شجرةً قريبة، وبسبب ارتفاع حرارة الشمس فقدت وعيي؛ فسقطت على الأرض مصطدماً بصخرة؛ فأتت سيارة الإسعاف، ونقلتني إلى المستشفى، ولمّا كنت انتظر الطبيب كُنْتُ أتناول المعكرونة المعلّبة وأشاهد التلفاز، ثم نظفت أسناني بعود الأسنان، ومسحتُ فمي بالمنديل، وفجأة رنَّ جرس الهاتف وتبعه إنذار الحريق، فالتقطت أمتعتي وهرعت لإطفاء الحريق».

ما زلت حتى اليوم أحفظ هذه الكلمات بتسلسلها. أعتقد أن تطوير الدماغ الشامل وتحديداً تطوير التفكير باستخدام المخيلة والتفكير الإبداعي والذاكرة القوية من الأمور التي تستحق الدراسة؛ لأنه سيحسن من كفاءَتنا التعليمية. إن الشخص الكامل هو الذي يستخدم عقله على نحو كامل.

درس الدكتور (هوارد جاردنر) أستاذ علم النفس في جامعة هارفرد على مدى سنوات تطوير الطاقة المعرفية البشرية في كتابه الصادر عام 1983 «أطر التفكير»، فخرج بنظرية الذكاء المركّب، حيث قسّم الذكاء البشري إلى سبع فئات أضاف إليها فئات أخرى فيما بعد. وفئاته الأساسية هي:

- **الذكاء اللغوي**: وهو متطور جداً عند الأدباء والشعراء والصحفيين والمحاضرين والعاملين في الإعلام، وهم قادرون على التفكير والتعبير عن أنفسهم عبر اللغة ويقدّرون معاني الكلمات.

- **الذكاء الرياضي- المنطقي**: وهو متطوراً جداً عند العلماء وعلماء الرياضيات والمحاسبين والمهندسين ومبرمجي الحواسيب، وهؤلاء يستطيعون دراسة وتحليل المسائل واختبار الفرضيات، ويقومون بحسابات رياضية معقدة.

- **الذكاء الفراغي**: وهو من صفات ملاحي السفن والطائرات والقباطنة والنحاتين والرسامين والمعماريين، وهؤلاء يمتلكون القدرة على التفكير ثلاثي الأبعاد، ولديهم إحساس فطري حول كيفية تصوير الأشياء، ويتمتعون بقدرة خاصة على التخيل الهندسي وغير الهندسي.

- **الذكاء الجسدي (والمهارة الجسدية)**: وهو يعد في الغرب أدنى قيمة من الذكاء الذهني، إلا أننا لا يمكن نكران أهميته، ونجد هذا النوع من الذكاء عند الرياضيين والراقصين والجراحين والفنانين والحرفيين المهرة، وهؤلاء بارعون في استخدام الجسم البشري.

- **الذكاء الموسيقي**: موجود لدى المؤلفين الموسيقيين، وقادة الفرق الموسيقية، والعازفين والناقدين الموسيقيين، وصانعي الآلات الموسيقية، والأشخاص الذين لديهم حس سماعي ويتذوقون الموسيقا والألحان والإيقاع.

- **الذكاء الاجتماعي**: وهو متطور جداً عند علماء النفس والفلاسفة والقادرين على تحليل الظواهر الاجتماعية والفكرية، ويستخدمون معرفتهم في تخطيط وقيادة حياة الآخرين.

- **ذكاء علماء الأحياء والنبات**: هو القدرة على تمييز وتصنيف الكائنات الحية والنباتات حسب خصائصها. وتستخدم هذه القدرة لأهداف إنتاجية، وهي متطورة عند علماء الزراعة، وعلماء النبات والصيادين، وعلماء البيئة، ومصممي المناظر الطبيعية.

إن نظرية الدكتور (غاردنر) حول الأشكال المتعددة للذكاء تخالف النظريات التقليدية المتعلقة بالذكاء، وتؤكد على أن كل شخص يمتلك ميزات فردية خاصة تنتمي إلى إحدى الفئات المذكورة. والنظرية هذه تقدم صورة أكثر دقة وشمولية عن القدرات الفردية، وتبرهن على صحة المقولة: «العباقرة هبة من السماء، وسيؤدون دورهم المفيد يوماً ما». و«كل تجارة تنتج أربابها». وبالرغم من أن هذه النظرية لا تجيب عن عدة أسئلة فقد كانت مصدر إلهام لنا ومرجعاً مفيداً في توجيه جهودنا في مجال «بناء شخصية الفرد». لا يجب أن يهمل التعليم تنمية القدرات الخاصة لكل طالب من منطلق أن كل طالب يمتاز بقدرات معينة وعلى المعلم أن يتيح للطالب استخدام هذه القدرات. إنني لا أدعي بأني مختص في هذا الموضوع، ولكني أرى أن من واجبي لفت نظر المعلمين والعلماء إلى الأبحاث الجارية التي جرت في هذا المجال؛ كي يتسنى للعاملين في الحقل التربوي استغلال نقاط القوة لدى كل طالب، وتحرير طاقاته الكامنة إلى أقصى حد ممكن.

6.6 التطبيق العملي لبرنامج بناء شخصية الفرد وفق الثوابت التي أقرّها الشعب.

المحاور:

كنت أشرت إلى أن تطبيق مبدأ تنمية شخصية الفرد يعني التقيد بالثوابت التي أقرها الشعب، إذا كان الأمر كذلك فلماذا كان من الضروري الترويج لفكرة بناء الشخصية؟ في السنوات القليلة الماضية جرت نقاشات حادّة حول تفسير الثوابت الوطنية في موضوع التعليم، فماذا تقول في هذا؟

لي لانكينغ:

أمَّا بالنسبة لترويج فكرة تربية الشخصية؟ فلأن مبدأ التعليم يمكن أن يُطبَّق من خلال معرفتنا للظرف الحالي والعقبات التي تواجهنا. وبناء الشخصية يمثل تطبيقاً عملياً في إطار ثوابتنا القومية في التعليم وفي هذه الحقبة بالذات من المرحلة التاريخية التي نمر بها، ويجب أن نَعْرِفَ أننا سنواجه تحديات جديدة قد تنشأ بعد أن ننتهي من إرساء الأسس لنشر

مفهوم بناء شخصية الفرد، لذلك أقول: يجب أن نعدّ العدّة لمعالجة مختلف القضايا في مختلف الأوقات؛ كي يتم تطبيق سياسات الحكومة على نحوٍ سليم.

في مطلع القرن العشرين لفت المربي المعروف (ساي يوان بابي) نظر المسؤولين إلى ضرورة العناية بالرياضة البدنية والتمارين الذهنية، بالإضافة إلى تدريس التربية الأخلاقية وغرس القيم الجمالية في نفوس الطلبة، وقد كان لديه سبب وجيه لوضع تعليم الألعاب الرياضية في المقدمة. خاصة وأنه في عصره كانت الصين تُوَصَمُ بـ «رجل الشرق المريض». أنت تَعْرِفُ أن المرء لا يستطيع فعل شيء إذا لم يكن صحيح الجسم.

كان (**مايوهان**) البروفسور المعروف يدعو إلى ممارسة الرياضة البدنية في الجامعات، وقدم خدمات جليلة في هذا الميدان. وبعد التحرير وخاصة بعد اعتماد سياسة الإصلاح والانفتاح كانت مكونات التعليم من حيث المبدأ تتمثل في التركيز على التربية الأخلاقية وتنمية القدرة العقلية والتربية البدنية والجماليات والعمل الميداني.

ومن ثَمّ تبدلت الصيغة إلى التربية الأخلاقية والفكرية والبدنية لكن الكثير من المفكرين والخبراء والعاملين في حقل التربية كانت لديهم تحفظاتهم حول مضمون هذه التعابير، إلا أنهم لم يطلبوا تعديلها في ذلك الحين نظراً؛ لأن قانون التعليم لم يمضِ عليه وقتٌ طويل من إقراره. وأخيراً تقرّر إضافة الجماليات إلى الفقرة الخاصة بالتعليم بناءً على اقتراح السلطات المركزية بإضافة هذه العبارة في التقرير حول عمل الحكومة الذي سلمه رئيس الحكومة (لي بينغ) في أول جلسة للمؤتمر الشعبي السنوي في دورته. وبذلك أصبحت الصيغة الجديدة تتضمن: «التنمية الأخلاقية، والفكرية، والبدنية، والجمالية». وقد شُرِّعَتْ بعد أن صدّق عليه المؤتمر الشعبي العام.

وفي تقريره إلى المؤتمر السادس عشر للحزب شرح (جيانغ زيين) مبدأ التعليم الوطني شَرْحًا وافياً قائلاً: «من الضروري التقيد بالتزامنا القاضي بتسخير التعليم لخدمة التنمية الاجتماعية جنباً إلى جنب مع العمل المنتج والممارسة الاجتماعية ورعاية القائمين على بناء الاشتراكية من المؤهلين أخلاقياً وفكرياً وبدنياً وجمالياً» إذن فهو يربط «التعليم بخدمة الشعب» والتعليم بالعمل المنتج والممارسة الاجتماعية. إن القضية ليست قضية تغيير في الخطاب وإنما تعبير عن فلسفة جديدة في التربية والتعليم.

تقوية وتحسين التربية الأخلاقية في المدارس

6.7 تحديد الأهداف والمتطلّبات الأساسية للتربية الأخلاقية في المدارس في العصر الجديد

المحاور:

ماهي أهداف ومتطلبات زرع الأخلاق في المدارس إبان هذه المرحلة من التطور التاريخي؟

لي لانكينغ:

إننا ندرك بوضوح نوعية الأفراد الذين نريدهم، كما ندرك الأهداف العامة للتعليم، ألا وهي تنشئة بُنَاةِ الاشتراكية ومن سيليهم من الأجيال المسلحة بالعلم والمعرفة والمثل العليا التي تتحلى بأعلى درجات الانضباط. إن هدفنا في نهاية المطاف هو إنشاء مجتمع شيوعي، لكن هدفنا في هذه المرحلة الراهنة هو بناء الاشتراكية التي تنسجم مع خصوصية الصين والواقع المعيش، تمهيداً لتحويل وطننا إلى بلد ديمقراطي مزدهر يتمتع بدرجة عالية من الحضارة والوعي الأخلاقي ويستفيد في الوقت نفسه من منجزات الدولة المتقدمة.

لذلك يجب أن تبقى الماركسية اللينينية، وفكر ماوتسي تونغ، ونظرية دينغ كسيوبينغ مرجعيات لنا في أثناء تنفيذنا للمشروع النهضوي في مجال التعليم ونشر القيم الأخلاقية التي ينبغي أن تحكم سلوك الفرد والطالب، مع مراعاة متطلبات كل مرحلة من مراحل التعليم. ومن جهة أخرى ينبغي تعريف الطلاب بالمادية الجدلية والمادية التاريخية لما لها من أهمية في التحليل العلمي، ومن الضروري أيضاً العناية بالتربية الوطنية وتعميق الثقافة الاشتراكية والتاريخية بما في ذلك تاريخ الصين القديم والحديث، وعدم إهمال التوجيه المعنوي وتقاليدنا الثورية، وأخيراً يجب أن تكون تقاليدنا في العمل منفتحة على منجزات جميع الحضارات.

ويتعين على المدارس والمعاهد كافة أن تطور أساليبها في مسألة التربية الأخلاقية التي ينبغي أن تكون جزءاً من المقررات، وذلك لتمتين الروابط بين التربية الأخلاقية داخل المدرسة وبين الحياة الاجتماعية للطالب في خارج المدرسة. ويجب أن يكون التركيز على

إحراز النتائج العملية وليس على الشكليات. كما أنه من الضروري بذل المزيد من الجهد في مجال الرياضة الذهنية والعقلية، خاصة أن الجيل الجديد من الشباب ينمو ويترعرع في بيئة اجتماعية متجددة. وهناك دور آخر للتربية والتعليم ألا وهو تعزيز الوحدة والتآخي بين المجموعات العرقية وإذكاء الروح الوطنية والدفاع عن الوطن وأمنه. وفي الوقت نفسه محاربة الإيمان بالخرافات والأفكار الرجعية، وذلك بدعم التنظيمات الطلابية مثل «عصبة الشباب» و«طلائع الشباب» و «الهيئات الطلابية»؛ لكي يستطيعوا القيام بدورهم في بناء ودعم شخصية الطالب.

وللمجتمع دور رديف في كل ما ذكرته عبر دعم المدارس في مجال التربية الأخلاقية والقيام بأنشطة تربوية أخلاقية، حتى تسهم مع الجهود المدرسية في التربية المعنوية.

6.8 التربية في نظرية دونغ جاوبينغ والنقاط الثلاث

المحاور:

لقد ذكرتَ أن نظرية دونغ جاوبينغ والنقاط الثلاث ذات أهمية كبرى في التربية الأخلاقية، فكيف يُفترض أن يفهمها شباب اليوم، ويطبقوها بصورة أفضل؟

لي لانكينغ:

لقد أقر المؤتمر القومي السادس عشر للحزب اعتماد الماركسية اللينينية وفكر ماوتسي تونغ ونظرية دينغ كسيوبينغ والنقاط الثلاث إطاراً لتوجهات الحزب. إن تسليح طلبة الجامعات بهذه النظريات أمر يرتبط ارتباطاً عضوياً بعملية الإصلاح والانفتاح على العالم الخارجي من جهة، وبناء الاشتراكية الصينية من جهة أخرى.

إن تطبيق هذه النظريات عملية متواصلة وطويلة الأمد، إن الجامعات بمنزلة حاضنات لتخريج الخبراء والمبدعين في مختلف مجالات العلوم والتكنولوجيا وهي من هذا المنطلق القوة المحركة التي تدفع عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية. ومن واجب العاملين في الجامعات من طلاب وأساتذة أن يكونوا القدوة في تطبيق النظريات التي أشرنا إليها، وأن يدركوا بوضوح أهميتها البالغة. وقد افتتحت الجامعات في أنحاء الصين دورات خاصة

لتدريس ما أسميته نظرية دينغ كسيوبينغ والنقاط الثلاث، وقد أعدت بعض الجامعات كتباً أو كراسات لتدريب المعلمين والطلاب وشرح هذه النظريات لهم.

أرجو من مربينا العاملين في سلك التعليم - انطلاقاً من توصيات المؤتمر القومي السادس عشر للحزب الشيوعي - أن يلتفوا حول اللجنة المركزية للحزب وأمينها العام (هيوجينتاو)، وأن يتمسكوا بنظرية دينغ كسيوبينغ انطلاقاً من النقاط الثلاث، وأن يثابروا على استقصاء الحقائق على الأرض وأن يتحرروا من رواسب الماضي وأن يواصلوا عملهم في إطار إستراتيجيتنا لتحقيق النهضة انطلاقاً من رعاية العلم والتعليم، وأن يدلوا بدلوهم في سبيل بناء الاشتراكية الصينية.

6.9 عدم التخلي عن التقاليد والقيم الصينية

المحاور:

سبق لك أن أيّدت تربية شبابنا عبر تعريفهم بتقاليدنا وقيمنا، واقترحت - بل تبنّيت- في عام 1993، وكذلك في عام 2002 عملية إعداد كتب تجمع التعاليم السامية والأقوال المأثورة من التراث الصيني، علماً بأننا نعيش اليوم في مجتمع عصري، فما الذي دفعك إلى ذلك؟

لي لانكينغ:

إننا نمتلك إرثاً حضارياً رائعاً عمره 5000 عام، ولدينا ثقافة قومية غنية وتقاليد متنوعة. منذ عدة سنوات سألني رئيس جامعة (بكين) إذا كان من الممكن جمع التعاليم الكونفيوشسية في قالب عصري من أجل تثقيف أولادنا. لقد توارثت أجيال متعاقبة هذه التعاليم ولا أعتقد أننا بحاجة إلى جمعها وتبويبها بقدر ما نحن بحاجة إلى اختيار أفضلها. والحق يقال: إن جل القيم التي ندعو إلى التمسك بها اليوم موجودة في تراثنا ومنها: الصدق في القول والعمل، حب الخير والنزاهة، ونبذ الشر والأنانية، وتجنب التبذير والابتعاد عن التزمت والتسامح مع الآخرين والعفو عند المقدرة. بالإضافة إلى التفاني في العمل وتجنب النزاعات الشخصية ووضع المصلحة العامة فوق كل اعتبار. إن التقاليد والقيم التي أتحدث عنها تتمثل في أمور أخرى مثل:

- حب الوطن، والإيمان بأن كل مواطن مسؤول عن مصير وطنه.
- أن تكون أول من يتحمل المشقة وآخر من ينشد الراحة.
- الجرأة على مواصلة الجهود لتحسين الذات.
- أن تتحلى بمكارم الأخلاق وأن تقاوم إغراء الثروة أو الجاه، وأن تبقى وفياً لمبادئك.
- العزم على بذل أقصى جهد في القيام بواجباتك إلى أن يحين الأجل.
- الإيمان بأن الفضيلة تحمل السعادة معها، والعزيمة على توسيع الأمن والعمل على ازدهار الأمة.
- التحلي بالشجاعة والإقدام والتضحية بالنفس في سبيل قضية سامية.
- أن تطمح إلى تحويل العالم إلى عالم أفضل، وليكن سلوكك الاجتماعي هو أن تعامل الناس كما تحب أن يعاملوك، وأن يعتني الشخص بوالديه عند بلوغهم سن الشيخوخة وبعدئذٍ الاعتناء بالآخرين، اهتم برعاية أطفاله أولاً ثم بأطفال الآخرين؛ بمعنى الأقربون أولى بالمعروف.

يوجد في تراثنا عدد كبير من الأقوال المأثورة التي تحث الفرد على القيام بواجباته الاجتماعية والأخلاقية وتحدد القواعد التي يبني عليها سلوكه، والواقع أن التقاليد والقيم الصينية مترسّخة في وجدان الشعب الصيني منذ القدم ومن هذه القيم والتقاليد: الوحدة القومية وحب السلام والاجتهاد في العمل والشجاعة وحب الوطن الأم. لذلك أرى أن نستغل موروثنا الأخلاقي وتقاليدنا الاجتماعية في تربية شبابنا على الصعيدين الأخلاقي والتربوي.

إن الصين اليوم على أعتاب عهد جديد من التنمية الاجتماعية والاقتصادية والتحويل الاشتراكي. إننا نعدّ تنمية الروح القومية جزءاً لا يتجزأ من العملية التربوية. ويجب أن نستفيد أيضاً من حضارات الأمم الأخرى وتجاربها الناجحة في هذا المجال، مع مواصلة السَّعي نواصل فيه سعينا لبناء الاشتراكية والمنظمة الأخلاقية التي تتلاءم مع «اقتصاد

السوق الاشتراكي». ولقد كلفنا عدة خبراء في هذا المجال بإعداد دراسات في عام 1993 و2002 بغية نشر كتاب يجمع القيم والتقاليد والحكم الصينية، ليكون مرجعاً يعتمده المعنيون بالتربية الأخلاقية في بلادنا.

إن دعوتنا لعدم إهمال التراث والتقاليد الصينية، لا يعني أن جميع ما ورد في تراث الأجداد إيجابي وبنّاء، وإنمَّا علينا أن نختار منه ما يتلاءم مع العصر، وأن ننبذ كل ما هو ضار أو غير مفيد.

إن التقاليد الصينية أزلية ومرنة في آن معاً، إنها معين لا ينضب للتربية والأخلاق، وتمتاز بالحيوية الدائمة.

إن الروح التي نسعى إلى إشاعتها تدريجياً تتمثل في تحرير العقل والكشف عن الحقيقة عبر دراسة الواقع والتكيف مع المتغيرات، ومواجهة الصعاب دون هوادة والعمل الدؤوب الذي يرمي إلى خدمة الشعب والمصلحة العامة في المقام الأول.

إن جيل الشاب هو الوارث للقيم والتقاليد الصينية العريقة، وهو يدعو اليوم إلى اعتماد سلوك جديد يتلاءم مع العصر الذي نعيش فيه. وأملنا كبير في تحقيق النهضة التي نسعى إليها ونراهن على قدرة الأجيال الصاعدة على تحقيق هذه النهضة في المستقبل.

6.10 الاستفادة من أفضل المنجزات الحضارية للأمم الأخرى

المحاور:

أنت تطالب بالاستفادة من تراث الصين الحضاري والأخلاقي، وتدعو طلابنا في الوقت نفسه إلى الاستقاء من ثقافات الأمم الأخرى قدر الإمكان، وهذا يفيد في بناء شخصية الفرد، فهل هناك أهداف أخرى من ذلك؟

لي لانكينغ:

خَلَّفَتْ زيارتي إلى اليونان عام 2002 انطباعين عن الشعب اليوناني:

الانطباع الأول: يميل اليونانيون إلى التحدث بطريقة فلسفية، ويبحثون عن جذور الظواهر المعقدة وأسبابها.

الانطباع الثاني: هو أنهم شعب مِضْيَاف. بطبيعة الحال هناك أمم كثيرة مضيافة ومنها الصين بحكم التقاليد لكن اليونانيين يبالغون في ضيافتهم. ويقول العاملون في سفارتنا: إن الرجل اليوناني قد يدعو من يطرق بابه سائلاً عن الطريق أو ما شابه إلى فنجان قهوة أو تناول الغداء. وأذكر أنه عندما توقفنا أمام مقهى في أثناء إحدى نزهاتنا أراد السفير شراء بعض الشراب لنا، وفي حين كان النادل يسأله عما نريد، حصل أمر لم نتوقعه، وهو إصرار الرجل اليوناني على الامتناع عن أخذ الثمن عندما شاهد السفير يفتح محفظته، على الرغم من إلحاح السفير على دفع الثمن ولكن دون جدوى. وأخيراً حلت المشكلة بفضل مالك المقهى الذي تدخل قائلاً: «عليك أن تستسلم وتدعه يدفع وإلا سيكون منزعجاً». تلك هي الضيافة اليونانية.

إننا نحيا في عالم مفتوح يزداد فيه التبادل والتعاون الدولي في شتى الحقول، وسيكون لطلابنا في المستقبل دور كبير في هذا الشأن. والتبادل الثقافي هو وسيلة للتواصل والتقارب بين الشعوب، وسواء كان هذا التبادل على المستوى السياسي أو الدبلوماسي أو الاقتصادي أو العلمي أو التربوي أو التكنولوجي والعسكري، فبإمكاننا استخدامه لبناء الثقة والتعاون المثمر على المستوى الدولي والفردي، وهنا تبرز أهمية اللغة في العلاقات الفردية؛ لذلك يجب أن نحرص على تعلم اللغات الأجنبية الرئيسة؛ كي نجني الفائدة القصوى من المنجزات الثقافية والعلمية للأمم الأخرى.

فالموسيقا على سبيل المثال هي إحدى الوسائل للتواصل مع الأمم الأخرى؛ لأنها لغة عالمية كما يسميها الكثيرون. فالمقطوعة الموسيقية أصبحت بالفعل وسيلة عالمية؛ لأن النوتة نفسها يمكن أن يعزفها أي عازف ملم بالسلّم الموسيقي. وسأورد بعض الأمثلة عن أهمية الموسيقا في تعزيز التفاهم والتواصل بين الأمم: ففي أثناء زيارة رسمية لي إلى النرويج ذكرت اسم إدوارد غريج (1843 - 1907)، وهو موسيقي نرويجي مشهور قَدَّم عرضاً أمام بعض الوزراء النرويجيين الذين أدهشهم أن يكون بعض الصينيين قد سمع به، وللتعبير عن تقديرهم نظموا لنا زيارة إلى مسكن الموسيقار، وبعدها أقاموا لنا حفل استقبال استمعنا في أثنائه إلى مقطوعات على البيانو من مؤلفاته الموسيقية.

وفي أثناء زيارتي إلى بولند سُعد مضيفي بحديثي عن فريدريك شوبان (1810 - 1849) الذي يفخرون به، ودعينا لحضور حفلة صغيرة في مكان سبق لشوبان أن عزف فيه. وهناك استمعنا إلى ألحانه التي أداها عازفون محليون. وهنا أود الإشارة إلى أن زيارتي إلى اليونان جعلتني أقدّر أهمية الاطلاع على ثقافات الشعوب الأخرى. فإن كنت لا تعرف شيئاً عن تاريخ اليونان، وخاصةً الحضارة الإغريقية سوف تجد صعوبة في التواصل مع اليونانيين، وعندما تظهر احترامك لهم سوف يحترمونك هم أيضاً.

حديث مع الرئيس الفرنسي جاك شيراك في قصر الإليزيه في باريس- نيسان/ابريل، 2001

الثقافة تمهد لبناء الثقة والتفاهم والتعاون والاحترام المتبادل بين الأمم، أذكر في حفلة تكريميّة أقامها الرئيس (بيل كلينتون) على شرف الرئيس (جيانغ زيمين) عند زيارته إلى الولايات المتحدة، بدأ الضيف يتكلم عن الشعب الأمريكي عبر قصيدة أمريكية تعود إلى القرن التاسع عشر للشاعر (هنري وادسوورث لونغ فيلو) بعنوان: «أنشودة الحياة» وكان الجميع مستمعين بما يسمعون، بمن فيهم الرئيس الأمريكي، وقد صفقوا بحرارة بعد انتهاء الرئيس (جيانغ زيمين) من إلقائها.

سبق لي أن زرت فرنسا مرتين واجتمعت بالرئيس الفرنسي (جاك شيراك)، وفي أثناء محادثاتي الرسمية معه تبين أنه يعرف شيئاً عن التحف البرونزية التي تعود إلى عهد الأباطرة جو، وأبدى إعجابه بالشاعر الصيني الكبير (لي باي)، كما أننا تحدثنا عن أدباء بارزين وفنانين أمثال: (أونوريه دو بلزاك) (1799 - 1850)، الكسندر دوماس الابن (1802 - 1870)، وفيكتور هوغو (1802 - 1885)، هيكتور بيرليوز (1803 - 1869)، وكلود دوبوسي (1862 - 1918)، وكانت لقاءاتنا أحياناً تتجاوز الوقت المحدد لها لهذا السبب. إنني أسرد هذه الأمثلة فقط، لأظهر أهمية الانفتاح على الثقافات والحضارات الأخرى ألاَّ تقتصر جهودنا على التركيز على تراثنا الحضاري بل على الاستفادة أيضاً من الإنجازات الرائعة للحضارات الأخرى.

6.11 مواكبة العصر، وتحديد أهداف واضحة، وتحسين أثر العصر في التربية المعنوية الجامعية

المحاور:

خطت التربية الأخلاقية في جامعاتنا خطوات كبيرة في السنوات العشر الأخيرة، والأوضاع النفسية للطلاب الجامعيين على خير ما يرام، فما هي في رأيك السبل التي ينبغي اتباعها للمحافظة على هذه الأوضاع؟

لي لانكينغ:

في أثناء العقد الماضي وبفضل خطتنا الإستراتيجية لتحقيق النهضة المنشودة عبر العلم والتعليم تحسّن أداء الجامعات، وأتى هذا التحسّن تتويجاً لجهود الحكومة والأجهزة الإدارية والتربوية على المستويات كافة. ومن جهة أخرى ثمة مشكلات إيديولوجية يعانيها الطلاب، تتجلى هذه المشكلات في سلوك الطلاب لا سيمّا وأن الغالبية العظمى من الطلاب اعتادوا الدلال والرعاية الخاصة من قبل والديهم لكونهم الأبناء الوحيدين.

ومن ثم فإن العديد منهم يفتقرون إلى القدرة على اتخاذ القرار، والاعتماد على الذات، وضبط النفس، مما يجعلهم عرضةً لأمراض نفسية أو حالات مرضية لها انعكاسات سلبية على دراستهم.

ولهذا السبب تقدم جل الجامعات اليوم خدمات استشارية في مجال الطب النفسي للطلاب الذين يعانون من مشكلات نفسية، كما يقوم مختصون بإجراء تحليل علمي للعوائق النفسية التي تواجه الطالب في أثناء مسيرته الدراسية وفي حياته اليوم، ويقومون كذلك بإرشاد الطالب لكيفية التغلب على حالته المرضية عبر دراسة ردود فعله النفسية تجاه الضغوطات الحقيقية والوهمية.

وهذه الرعاية النفسية تطال على نحو خاص الطلاب الذين يعانون مشكلات نفسية خطيرة؛ الذين بحاجة إلى مساعدة لتجاوز محنتهم ومتابعة حياتهم الدراسية في جو يسوده التفاؤل والسعادة. وقد وضعت بعض الجامعات آليات لإدارة الأزمات حتى تمنع بعض الحالات النفسية الفردية التي قد يؤدي تفاقمها إلى مآسٍ لم تكن في الحسبان.

من الضروري أن يلم الطالب الجامعي بالعلوم السياسية وأن يهتم بمضمون هذه المواد التي تدرس في هذا الشأن. إن الماركسية جديرة بأن تدرس؛ ولكن المشكلة هي أننا لا نستطيع تدريسها بطريقة ميكانيكية تلقينية نظراً لطبيعة المادة. لذلك يجب شرح النظريات الماركسية بأسلوب مبسط وجذّاب يربط النظرية بالتطبيق. ومن الأهمية بمكان وبصورة خاصة الفهم الصحيح للمادية الجدلية (المادية الديلاكتيكية) والمادية التاريخية باعتبار هذين المفهومين الحجر الأساس الذي تقوم عليه الماركسية.

لنأخذ على سبيل المثال شخصيات تاريخية: لقد كان (ماوتسي تونغ) رجلاً عظيماً له إنجازات ستذكرها الأجيال، لكنه في الوقت نفسه كان إنساناً يخطئ ويصيب، ومن أخطائه إطلاقه للثورة الثقافية 1966-1976» في سنوات أفوله، وسقوط «عصابة الأربعة» وعودة (دينغ كسيوبينغ) إلى منصبه القيادي.

أراد بعضهم التنكر لـ(ماوتسي تونغ) كلياً، لكن (دينغ) رفض ذلك بحزم قائلاً: «بالرغم من أخطائه يجب ألاَّ ننسى أن ماوتسي تونغ هو أحد مؤسسي الحزب الشيوعي الصيني، وهو المهندس الأوّل لجمهورية الصين الشعبية، أما الأخطاء التي ارتكبها فيمكن عدّها ثانوية، وعلى أي حال لا يمكن ألبتة تجاهل منجزاته».

ويصر دينغ على أنه لا يجوز ولا يصح قطعاً حرمان ماوتسي تونغ من مكانته التاريخية. وهذا يدل على أن دينغ رجل دولة ماركسي يفهم الماركسية ومبادئها وقد دفع البلاد في الاتجاه الصحيح في أثناء حقبة تاريخية حرجة. ويمكننا أن ننظر إلى الأمر من زاوية أخرى: هب أننا أنكرنا (ماوتسي تونغ) وتجاهلنا الوقائع التاريخية، وهب أننا لم نعالج المسألة من المنظور الماركسي، هل كان بوسعنا عندئذٍ تحقيق النجاح الذي نشهده اليوم؟ وهنا أرغب أن أضيف بأن السبب في موافقة الغالبية العظمى من الشعب على رأيي في (ماوتسي تونغ) ليس بسبب الاستنتاجات الموضوعية التاريخية ولكن بسبب الوعي السياسي لأبناء الشعب الصيني.

وفي هذا السياق أود أن أشدد على أهمية ربط النظرية بالتطبيق عند إلقاء المحاضرات السياسية ومواكبة العصر. إننا ندخل حقبة جديدة من التطور التاريخي وهذا يستدعي دراسة ما أسميناه نظرية (دينغ كسيوبينغ) والنقاط الثلاث بوعي وعمق أكبر.

والماركسية تعني للصين أمرين: الإرث الماركسي، وتطوير هذا الإرث وفقاً للمتغيرات والظروف المستجدة. إن أبرز مثال على ربط النظرية بالتطبيق في ظل الظروف الجديدة هو البرفسور (كزو زهي غونغ) في جامعة الدفاع الوطني، الذي تحظى محاضراته باستحسان بين الطلاب كونه مبدعاً في ربط النظرية بالتطبيق. وأذكر أنني كنت أنا ورفاق لي في أثناء دراستي الجامعية مولعاً بمحاضرات البرفسور (وانغ زهونغ) وتقاريره، وعندما زرت معهد (بكين) للصناعات الخفيفة، أخبرني الطلاب أن أساتذة العلوم السياسية في المعهد يتقنون عملهم.

ومن جهة أخرى يجب على الموظفين الحكوميين على المستويات كافة، القيام بزيارات دورية إلى المدارس ليتحدثوا مع المعلمين حول مبادئ وسياسات الحكومة في الوقت الحالي، ويجب عقد ندوات لعرض المواضيع التي تدرس بالاعتماد على الوقائع الحية لمساعدة الطلاب والمعلمين في فهم التغيرات والإنجازات الجديدة في عملية الإصلاح والانفتاح وخاصة التطور الاقتصادي. لذلك أنا أشدد دوماً في زياراتي على مسؤولي الأقاليم والبلديات؛ لكي يخصصوا الوقت الكافي لزيارة الجامعات والتحدث مع الطلاب والمعلمين حول أوضاعهم الراهنة، وأن يجيبوا عن أي سؤال أو استفسار.

إن سنوات من التجارب قد أثبتت أن هذا التواصل المستمر يحظى باستحسان شريحة واسعة من الطلاب والمعلمين، ومن جهتي فقد وضعت ثمانية تقارير على الأقل حول القضايا التي تهم المدرسين والطلاب في الجامعات في أثناء السنوات العشر الماضية.

6.12 التشديد على نشر التربية الوطنية

المحاور:

إنك تعلق أهمية كبيرة على ضرورة أن يعرف الطلاب وأساتذة الجامعات ما يجري في بلدهم وأن يكونوا على تواصل مع القضايا التي تمس الدولة والمجتمع، وطَلَبْتَ من المسؤولين الشيء نفسه. فماذا كنت تقصد بالضبط؟

لي لانكينغ:

لا يجوز أن ينحصر التعليم في نقل المعرفة، بل يجب أن يُعنى أيضاً بالتربية الأخلاقية والاهتمام بالشأن العام بصورة خاصة وهذا من التقاليد التي نفخر بها في حزبنا. هناك عدة فصول في كتابات (ماوتسي تونغ) تُعنى بالأوضاع الراهنة وواجبات الفرد، وأنا أشُدد على ضرورة أن يكون الطلاب والأساتذة على صلة بالأوضاع الاجتماعية انطلاقاً من ملاحظتين: الأولى هي أن الطلاب والمعلمين يعيشون على أرض الجامعة بمعزل عما يجري في المجتمع، وطلابنا الشباب يفتقرون إلى النضج، ويتسرعون في إطلاق الأحكام بسبب معرفتهم المحدودة وعدم نظرتهم إلى الأمور بشمولية. والثانية هي أن التقارير حول الأوضاع الاجتماعية الراهنة هي أفضل طريقة وأكثر فاعلية في تعليم الشؤون الوطنية.

لقد كنت طالباً في جامعة فودان في أثناء تحرير (شنغهاي) وكان الوضع حينها معقّداً جداً، إلا أننا كنا قادرين على رؤيته بكل أبعاده؛ لأن المسؤولين في المنطقة دأبوا على زيارتنا لاطلاعنا على مجريات الأحداث آنذاك، وما زلت حتى اليوم أذكر الحماس الذي بثته فينا تلك التقارير.

في تلك الأيام العصيبة كانت قوات «الكومنتانغ» المناوئة للشيوعيين تقوم بغارات جوية على المدينة، في حين كان عملاء العدو يعيثون فساداً في الداخل، هذا في الوقت الذي كانت

حكومتنا الجديدة منشغلة في تنظيف المدينة من المجرمين والحثالات الأخرى مثل: عصابة الخضر وعصابة الحمر وغيرهم. كان تشين يي آنذاك يشغل منصب عمدة المدينة بالإضافة إلى كونه أحد كبار القادة العسكريين.

وبالرغم من أعبائه الثقيلة كان يجد الوقت للمجيء إلى الجامعة ليطلعنا على الأوضاع، وما زلت أذكر ملاحظاته: فمثلاً في أثناء جلسة استماعٍ طَرَحَ أحدُهُم عليه السؤال الآتي: الآن وقد تحررت الصين لماذا لا نرسل جيش التحرير لتحرير هونغ كونغ؟ وماهو المسوِّغ لعدم قيامنا بذلك؟ فأجابه العمدة: «أولاً لسنا بحاجة لإرسال جيش التحرير إلى هناك؛ إذ يمكنني الاتصال بجهاز الأمن العام في محافظة (غوانغ زهو) لتنفيذ ما تدعو إليه. ثانياً: إننا لا نخطط لإرسال جيش التحرير إلى هناك، أنتم ما زلتم صغار السن لتفهموا الأسباب، وكذلك لا أستطيع الإجابة عن هذا السؤال الآن، لكنكم ستعرفون فيما بعد». وبالرغم من أن العمدة لم يوضح، لكن الجميع أدرك أن هناك سبباً وجيهاً لاتخاذ هذا الموقف دون أن يعرفوه بالضبط.

في ذلك الوقت كان الوضع متفجِّراً في شنغهاي وزاد الطين بِلَّةَ شح المواد الغذائية وارتفاع الأسعار. لقد كان الوضع خطيراً جداً إلى حد أن (تشين بي) صرح في أحد جلسات الاستماع قائلاً: «أخبرني بعضهم أنه إذا انسحب الحزب الشيوعي من شنغهاي فسوف يتبعون الحزب ويشعلون حرب عصابات في الجبال، لقد تأثرت كثيراً باستعدادهم للتضحية في سبيل الحزب، ولكنني أقول لكم: إننا لن ننسحب من شنغهاي أما بالنسبة لتجار الأرز الجشعين الذين يخزنون الأرز ويرفضون بيعه فقد أصدرت أمراً بشحن الأرز من سيتشوان إلى شنغهاي، وإذا كان النقل بطيئاً عبر النهر فسوف ننقله عن طريق البر، وأود أن أطمئنكم أنّ الغارات الجوية التي كشفتها حكومة (الكومنتانغ) ستنتهي قريباً». كان لتلك الكلمات وقعاً حسناً في نفوس الجميع، ومثلما كان متوقعاً فقد انخفضت أسعار الأرز في شنغهاي بعد وصول شحنات من سيتشوان، وتم القضاء على الاحتكار ولم يعد التجار يجرؤون على الامتناع عن بيعه. وهناك حادثة لا أزال أذكرها بوضوح:

في أثناء عودتنا مساءً إلى مهاجعنا بعد حضور حفلة نظمها الحزب للشباب والشابات، ظهرت في السماء قاذفة قنابل تابعة لقوات (الكومنتانغ)، وفجأة سلّط رجالنا الأضواء

الكاشفة على القاذفة المغيرة التي يبدو أنها كانت خارج مدى مضاداتنا الأرضية، وانطلقت إحدى طائراتنا المقاتلة، وأسقطت تلك القاذفة؛ وبعد هذا الحدث لم تعد تجرؤ طائرات العدو على اختراق أجواء المدينة.أعود إلى (تشين يي) لأقول: إنّ هذا الرجل كان مثالاً يحتذى به في تعامله مع أفراد الشعب.

6.13 تشجيع العمل الجماعي والتواصل بين المفكرين والأدباء

المحاور:

كثيراً ما كنت تشجّع على التآلف والتعاون بين العلماء والمفكرين في مقالاتك وخطاباتك، ألا تتعارض هذه النظرة مع مبدأ إطلاق العنان لحرية الإبداع؟

لي لانكينغ:

إنني لا أتجاهل ألبتة المواهب الفردية، عندما أدعم العمل الجماعي والتواصل بين المفكرين والأكاديميين، بل على العكس إن المواهب الفردية الإبداعية هي الأساس وهي القلب النابض، فهل يمكن لأي فريق عمل دون قلب يحرّكه؟

والقلب في العالم الأكاديمي هو شخص بارز ورائد في مجال تخصصه بشهادة العاملين في المجالات الأكاديمية أو العلمية، ويفترض أن يتمتع بالقدرة على فهم الناس واستثمار طاقاتهم، وترميم نقاط ضعفهم، وجعلهم يلتفّون حوله لتحقيق نتائج ملموسة.

قد يزعم بعضهم أن (توماس أديسون) قدّم اختراعات عظيمة لكننا لم نسمع عن أي فريق عمل له؛ في الحقبة التي عاش فيها (أديسون) لم يكن العلم والتكنولوجيا والإنتاج قد بلغ المستوى الذي نشهده اليوم. ولذلك برزت القدرات الفردية في عصر أديسون بوصفها أمراً طبيعياً. ولكن أديسون احتاج إلى فريق عمل عندما أخذ يستثمر اختراعاته ويوسع نطاق عمله، إن أهمية العمل الجماعي تتزايد نتيجة للتقدم الحاصل في التكنولوجيا والإنتاج، كذلك روح العمل كفريق.

لنأخذ (بيل غيتس) كمثال: إنه شخصية فذة وهو أغنى رجل في أمريكا، وقد أنشأ شركة توظّف اليوم آلاف الأفراد من ذوي الكفاءات العالية، وبفضلهم فقط استطاع أن يصل إلى

ما وصل إليه اليوم. لذلك عندما نعلّم شبابنا لا يكفي أن نزوّدهم بالمعرفة فحسب، وإنما علينا أيضاً التأكد من أنهم يفهمون ويستوعبون المواد التي يدرسونها، وأن نبين لهم فائدة العمل المشترك.

إن دعم العمل الجماعي وتنمية روح العمل ضمن فريق عمل يتطلّب ويحتّم مقاومة نزعة بعضهم للعمل الفردي الذي يعوق حركة التقدم في المجالات الأكاديمية والبحث العلمي والتكنولوجي، والتقدم الاجتماعي. إن التعاون بالتشاور بما في ذلك النقد البنّاء والموضوعية كفيل بتحقيق التقدم والازدهار.

لا يوجد في تاريخنا عهد زخر بكبار الشعراء مثل عهد أباطرة تانغ (618-907) الذي عاش في كنفهم شعراء لا معون أمثال: وانغ بو، يانغ جيونغ، لوز هادلين ولو بينوانغ، ثم لي باي، ودوفو، ومينغ هاوران، وانغ دي، وعشرات آخرون من أمثال: هان يو، وباي جوى، وليويوكزي، وليو زونغ يوان، ويوان زهين، وآخرون. وقد كان كل واحدٍ من هؤلاء الشعراء ينتمي إلى مدرسة مختلفة، وكانوا يحملون المشاعر الطيبة والعميقة تجاه بعضهم. كان أكثر شعراء عصر (تانغ) ينظمون الشعر المسرحي والغنائي، ولدينا أشعار موجّهة من شاعر إلى آخر يتناول مواضيع وجدانية، والذي نعرفه عن الشاعرين العظيمين لي باي ودوفو أنهما كانا ندّين في ميدان الشعر وبقيا صديقين حميمين لا يكترثان بالشهرة أو أيهما الأفضل. عندما وصل لي باي إلى شاندونغ كتب إلى دوفو شعراً يعبر فيه عن شوقه إليه:

لماذا أنا هنا، استلقي على أعلى جدار في مدينة الكثبان؟

لا يوجد قرب الجدار إلا شجرة تشعرني بالراحة عندما أرنو إليها

فيما تهتز أوراقها مع رياح الخريف في ضوء الشمس الغاربة

خمر «لو» كله لا يكفي لإدخال السكينة إلى قلبي

وحتى أغاني «كي» لا يمكن أن تأخذ قلبي من صدري

إن حنيني إليك يتدفق كما يتدفق نهر «وين»

متسارعاً وطليقاً في طريقه إلى المكان الذي أنت فيه

إن شوقه إلى صديقه(دوفو) واضح جداً في هذه الأبيات، وعندما اتُهم (لي باي) ظلماً في قضية معينة واقتيد إلى المنفى، صُدم (دوفو) بالظلم الذي أحاق بصديقه وعبر عن لوعته بالأبيات الآتية:

تسافر الغيوم طول اليوم

دربنا طويلة جداً ووعرة

حلمتُ بك لليال ثلاث

يبتسم الحب بين ضلوعك

الرحلة صعبة، الأعاصير تعبر الأنهار والبحيرات

سينقلب القارب الصغير، وها أنت تمسّدُ شعرك الأشيب

كأنما سعيك ضاع أدراج الرياح

يغوص المسؤولون في قوارير العطور وخزائن المال

وأنت تحمل الهموم والآلام وتعبر وحيداً

من يجرؤ على التحدث عن العدالة عندما يلقي القدر شباكه؟

صديقي الذي تنكرت له الأيام في شيخوخته

سيبقى اسمه مشرقاً على مر العصور

ورفيقه بعد الموت هو الوحدة.

إن صورة (لي باي) الحية في القصيدة تثبت عمق صداقتهما واحترامهما المتبادل، وهذه شواهد عظيمة لا يمكن أن يمحوها الزمن، وستبقى مصدر إلهام لنا جميعاً.

الجميع في الصين قد سمع عن الأعلام الثمانية في (يانغ زهو) الذين ذاع صيتهم في الشعر والخط والرسم، في عهد الإمبراطور (كيان لونغ) (1644 - 1911) وهؤلاء الأعلام هم: وانغ شيشدين، ولي ستان، وجين نونغ، وهوانغ تشين، وغاوكزيانغ، ولي فانغينغ، وزهينغ بانكياو، ولوبين. ويبدو أنهم لم يجتمعوا يوماً معاً. والواقع أنهم ينتمون لمدارس أدبية مختلفة

ولكن ذلك لم يمنعهم من أن يكونوا أصدقاء بكل معنى الكلمة، والجدير بالذكر هو أن القاسم المشترك بين هؤلاء الأدباء أنهم كانوا جميعاً رواداً في ميدان الأدب من حيث الشكل ويمكن عدّهم رواد الحداثة. وتظهر سيرة حياتهم وأعمالهم وعمق الصداقة التي كانت تربطهم. ولعل الواقعة الآتية تبين طبيعة هذه الصداقة: حدث أن ذهب زهينغ لزيارة وانغ الذي كان قد اِنْتَهَى لتوّه من رسم إحدى لوحاته وعندما رأى زهينغ اللوحة ذُهل بروعتها، وللتعبير عن إعجابه كتب الأبيات الآتية:

وقف الرجل بالباب حاملاً شرابه

وعبق الصباح يملأ المكان

إن السعادة تغمر اللوحة

يستحضر الرجل الأرواح الهائمة

لا تقل إن الشراب البارد عديم الفائدة

إن هذا الشراب المثلج الذائب يستحق ملايين النقود المعدنية

وفي قصيدة أخرى أثنى على أسلوب (هوانغ شين) في الرسم بالأبيات الآتية:

مولع أنت بالتحديق في تلك المعابد المغطاة بالأشنّة

ترسم الجبال البرية، وجذوع الأشجار المتمايلة

عندما تحرك الروح ريشتك إلى المرتفعات الأثيرية

نعم إن المشهد من نسج الخيال ولكن الحياة تدب فيه

كذلك كان (زهينغ بانكياو) يقدّر تقديراً عالياً عمل الخطاط (جين نونغ) في الخط، قائلاً عن أسلوبه: «يمكنك أن تستمتع به لكن لا يمكنك تعلمه». وهناك حكايات عديدة عن هذا النمط من الصداقة بين غريبي الأطوار لا مجال لذكرها هنا.

دعني أروي لك قصة عن لودفيغ فان بيتهوفن (1770 - 1827) وفرانز شوبرت (1797 - 1828). لقد ولد بيتهوفن قبل 27 عاماً من مولد شوبرت، وشوبرت توفي في سن الـ31 عام 1828. ولقد كان شوبرت يقدر بيتهوفن أيّما تقدير، ويعدّه مصدر إلهام في كثير من أعماله

الموسيقية المبدعة، ويعد نفسه تلميذاً له، وقد توفي الاثنان في ظروف بائسة، عندما كان بيتهوفن على فراش الموت، ولقد ذهب شوبرت لزيارته مرتين. وعند وفاة بيتهوفن حضر شوبرت مراسيم الدفن حاملاً بيده مشعلاً، وقبل أن يلفظ شوبرت أنفاسه الأخيرة كان قد سمعه بعضهم يهمس قائلاً : «أليس بيتهوفن نائماً هنا؟!!». كان شوبرت يتمنى أن يدفن إلى جانب بيتهوفن، وهذه الحكاية النادرة تبيّن مدى تقدير شوبرت لبيتهوفن وعمق مشاعرهما تجاه بعضهما.

بعد وفاة المؤلف الموسيقي الروسي (ألكسندر بورفيريتش بوردوين 1833 - 1887) دفن رفاته إلى جانب قبر بيتروفيتش موسورغسكي (1839 - 1881) وأنا شخصياً مولع بالمقطوعة المسماة «نهر موسكو عند الفجر» وهي افتتاحية الأوبرا التاريخية خوفانشينا التي ألفها موسورغسكي.

إنني أسوق حكايات الصداقة والتآخي مثالاً يحتذى من قبل المفكّرين والأكاديميين في بلادنا، بالطبع إن الجو الأكاديمي بمجمله جيد حالياً، لكن يجب التخلص من بعض الحساسيات والمماحكات على الساحة الأكاديمية، وهذا يستلزم الإرشاد المتبادل، والنقد البنّاء الذي يقدم الفائدة لتطور المساعي الأكاديمية.

6.14 إصلاح المناهج والكتب الدراسية والامتحانات وأنظمة التقويم

المحاور:

لا أحد في مدارسنا يقلّل من أهمية التربية الثقافية؛ لأنها جزء من نقل المعرفة إلى الطالب. إذاً ما هي المشكلات التي تسترعي الانتباه في هذا الشأن؟

لي لانكينغ:

إن جل المدارس تعنى بالتربية الثقافية والفكرية، وتشدّد على أهميتها الفكرية وتقديم المعرفة للطلاب، وما زال هناك نواقص كثيرة في هذا الميدان. ويجب على العاملين في مجال التربية الثقافية أن يغيّروا مفهومهم للتعليم وأهدافه عبر تشجيع النقاش المفيد والتفكير المستقل والابتكار لدى الطلاب. ويجب تنمية الاستقلالية في التفكير لدى الطلاب خارج الأطر التقليدية.

ينبغي تحفيز طلاب الجامعات على التجربة الدائمة والخروج بحلول مبتكرة في ميادين تخصصهم. وهذا ينسحب على التعليم المهني وتعليم الراشدين وتأهيل الطلاب تمهيداً لدخولهم سوق العمل. وقد سبق أن أشرت إلى ضرورة التخفيف من وطأة الحمل الدراسي الذي يعانيه الطلاب في المدارس الابتدائية والثانوية، وهو أمر ينبغي معالجته بحيث يتسنى للطلاب الوقت الكافي لممارسة أنشطة أخرى رياضية واجتماعية. كما ينبغي تشجيعهم على العمل التطوعي في مجال الخدمات الاجتماعية. وهذا يتطلب إنشاء منظومة تتيح لطلابنا الانخراط في المجتمع المدني، وهذا ينطبق على مؤسسات التعليم العالي التي من واجبها وضع نتاج الدراسات والأبحاث العلمية في خدمة المجتمع.

6.15 تخفيف العبء الدراسي في المدارس الابتدائية والثانوية

المحاور:

إن الأعباء الدراسية أصبحت تنهك طلاب المدارس الابتدائية والثانوية، وهذا الأمر يقلق الكثيرين، وإننا نعلم أنك قمت بدراسات وتحريات عديدة حول المشكلة، وأصدرت عدة توجيهات مهمة، لكن المشكلة ما زالت عالقة، فما المطلوب اليوم؟

لي لانكينغ:

إن معالجة هذه المشكلة تهمّنا جميعاً، وأنا لست الشخص الوحيد المهتم بهذه القضية، فهناك قادة آخرون مثل: جيانغ زيمين، ولي بينغ، وزهورونفي، وهيوجينتاو، وجميعهم أصدروا توجيهات مهمة حول هذه القضية، وقد اتخذت الجهات التربوية عدة خطوات لمعالجة المشكلة، وإذا تحدثنا بموضوعية فإن المسألة تكمن في مقاربتنا لهذه المسألة.

أثناء العهد الإقطاعي في الصين، كانت الفكرة السائدة لدى عامة الشعب هي أن من يكرّس حياته للعلم والأدب فإنه يحتل مكانة رفيعة في المجتمع، ويستحق التمجيد والإجلال. وهناك حكايات شعبية كثيرة عن الجهود المضنية التي كان يبذلها الطلاب الطامحون للنجاح في الامتحانات الإمبراطورية التي كان على الفرد اجتيازها إنْ أراد العمل في السلك الإداري الإمبراطوري. في ذلك العهد كان النجاح في الامتحانات الإمبراطورية مهمة شاقة

والسبيل الوحيد للحصول على وظيفة. واليوم يتزاحم الطلاب لخوض الامتحانات الجامعية لضمان مستقبل أفضل.

لا شك أن الدراسة الجامعية تسهّل الحصول على وظيفة، وتكون المنافسة قوية على دخول الجامعات عندما تعجز الموارد التعليمية عن سد الطلب. وفي هذه الحالة تصبح العلامات المطلوبة للقبول في الجامعة عالية، وهذا يجعل المدارس الثانوية تضاعف الأعباء الدراسية التي يتعيّن على الطالب تحمّلها. ونتيجة لذلك تزداد حدة التنافس بين الطلبة، وهذا يؤدي إلى تفاقم الضغوطات النفسية والعصبية إلى حد إصابة بعضهم بالأرق نتيجة الانكباب المتواصل على الدراسة وما يسبّبه ذلك من إرهاق. والمأساة هنا هي أن هذه الأعباء أصبحت لا تحتمل إلى حد أفقد الطالب توازنه النفسي والأخلاقي.

في مساء شباط عام 2000 استدعى الرئيس (جيانغ زيمين) أعضاء المكتب السياسي في الحزب الشيوعي ورؤساء الدوائر المختصة لدراسة هذه الظاهرة، وقد ألقى خطاباً طلب فيه تنبيه المسؤولين على مختلف المستويات وألزمهم بدراسة هذه المسالة دراسة جدية والعمل على تقليص الأعباء الدراسية والواجبات المنزلية والتركيز على تنمية ثقافة الطالب.

ولمعالجة هذه المشكلات شرعنا في زيادة قدرة الجامعات على استيعاب المزيد من الراغبين في الانتساب ومن ثَمَّ التخفيف من حدة التنافس على مقاعد محدودة. وهنا واجَهَنَا تحدٍّ آخر وهو رغبة الجميع في الانتساب إلى الجامعات المرموقة إذا صح التعبير: ويبدو لي أن الحل يكمن في زيادة الموارد المتاحة للجامعات والمدارس الثانوية وربط مؤسسات التعليم العالي بمعاهد التدريب المهني والمعاهد التقنية الأخرى بحيث يتسنى للطالب تحصيل التعليم العالي مروراً بهذه المعاهد.

شاءت المصادفات أن عَرَفْتُ طالباً مجتهداً وخلوقاً رغب في دخول الجامعة بعد أن أتّم دراسته الثانوية ولكنه لم يتمكن من تحقيق الحد الأدنى المطلوب للنجاح في امتحان القبول، فتوتّر أبواه كثيراً ورغبا منه أن يأخذ دروساً إضافية استعداداً للتقدُّم لامتحان العام المقبل، وعندما استشاراني في الأمر نصحتهم بالتخلي عن الفكرة، فالولد سبق أن عانى كثيراً من الإحباط ولن يتحمل فشلاً آخر. واقترحت عليه أن ينتسب إلى جامعة خاصة حيث معدلات

القبول فيها أقل من تلك التي تشترطها الجامعات الرسمية، وقبل الأبوان فكرتي وأرسلوا ابنهم لدراسة اللغة الفرنسية في كلية خاصة، وبعد عام من ذلك التقيت هذا الشاب وشهدت التحول الإيجابي الذي طرأ على شخصيته، وكان مهتماً جداً باللغة الفرنسية وراضياً عن جامعته؛ الأمر الذي أسعدني كثيراً.

إنني على يقين أن المنافسة المفيدة بين الجامعات ستزداد عندما تتوسع هذه الجامعات وتتحسن نوعاً وكماً، بحيث تستطيع استيعاب أعداد أكبر من الطلاب وهذا بطبيعة الحال سيجعل امتحانات القبول أيسر مما هي اليوم.

غير أن مشكلات جديدة قد نشأت في المدارس الثانوية وتفاقمت لدرجة أن النجاح في امتحانات الدخول أصبح أكثر مشقة من النجاح في امتحانات القبول في الجامعات نتيجة لتزايد الإقبال على المدارس الثانوي. ولتدارك هذا الوضع التقيت المسؤولين في وزارة التعليم هيئة تخطيط الدولة، ووزارة المالية واتخذنا إجراءات مستعجلة لدعم المدارس الثانوية، وتتلخص هذه الإجراءات فيما يلي:

1- توسيع الثانويات لاستقبال المزيد من الطلاب وبناء ثانويات جديدة مع التركيز على الجودة.

2- تشجيع ودعم جهود غير حكومية للمشاركة في تمويل المدارس الثانوية.

3- تشجيع ودعم المدارس الثانوية الجيدة ودعوتها للتعاون مع الثانويات الأخرى لتخفيف الضغط على هذه الثانويات.

كما طلبت أن تتم مراجعة المناهج وكتب الدراسة في المدارس الابتدائية والثانوية، وأن يتم إعادة تقويم المدارس والمعلمين وفق نظام جديد. وقد كان لهذه الإجراءات مفعول إيجابي، غير أن بعض الجهات لم تتقيد بالتعليمات على النحو المطلوب واتخذت إجراءات اتصفت بعدم المبالاة، فعلى سبيل المثال: بعد تخفيف الأعباء الدراسية التي دعونا لها عمدت بعض المدارس إلى التخلي عن دورها التربوي تاركة الطلاب يهدرون وقتهم بدل أن تتعاون مع أهليهم في توفير أنشطة ترفيهية مفيدة في تنمية شخصية الطالب.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن مقاهي الإنترنت والأنشطة غير المرخص لها أو غير المشروعة تلحق الضرر بالطلاب خارج أوقات الدوام. ونحن نعلم أن المجتمع وأولياء الطلاب وقفوا ضد المناهج الثقيلة التي ترهق الطالب ولكنهم اليوم باتوا قلقين على مستقبل أولادهم مما دفع بعض الأهلين إلى دفع أبنائهم إلى أخذ دروس خاصة للتعويض عن تقصيرهم، إذاً لا بد من تغيير مفهوم المجتمع بصورة جذرية تجاه التعليم وأعبائه، وذلك عبر توعية المجتمع عبر حملات توعية تهدف إلى تغيير تلك المفاهيم وخاصة عندما يتعلق الأمر بصحة الأطفال البدنية والعقلية وعلى الأهل والمجتمع أن يعوا أهمية بناء الشخصية.

إن الهدف من التعلم ليس فقط نيل الشهادة بل يتعداه إلى تنمية قدرات الفرد ومخزونه المعرفي. إن كل مهنة تحتاج إلى خبراء ومحترفين، واليوم نشهد طلباً متزايداً على الفنيين والمختصين من خريجي المعاهد التكنولوجية وهؤلاء يتقاضون أجوراً تساوي أضعاف ما يتقاضاه خريجو الجامعات.

6.16 إعادة النظر في الكتب المدرسية ومحتواها لتواكب المناهج

المحاور:

إن أحد أهم أسباب الصعوبات التي يواجهها التلاميذ في دراستهم يكمن في محتوى الكتب المدرسية المعتمدة ولا سيما الكتب القديمة التي تتصف بالحشو من حيث أسلوب الشرح وتتضمن أحياناً معلومات خاطئة؛ ولكونك عانيت هذه المشكلة هل لك أن تطلعنا على ملاحظاتك في هذا الشأن.

لي لانكينغ:

في اعتقادي أن السبب الرئيس للأعباء الدراسية التي تنهك تلامذتنا يكمن في قلة الموارد المتاحة أو المستثمرة في التعليم العالي والتعليم المهني، وأفضت إلى التنافس الحاد على اجتياز امتحانات القبول في الجامعات.

فأعداد الطلاب الذين يرغبون في الانتساب إلى الجامعات أو المعاهد الحرفية تتجاوز كثيراً قدرة هذه المؤسسات على استيعابهم. وهناك سبب آخر لهذه الظاهرة وهو حجم

المناهج من جهة ومحتوى الكتب الدراسية المعتمدة. وقد أجمع الخبراء والعاملون في الحقل التربوي بالإضافة إلى وزارة التربية والتعليم على وجوب حل هذه المشكلة.

هناك شعور عام بأن الكتب المدرسية من حيث الشكل والمضمون لا تراعي سن الطالب ومستوى إدراكه، لقد حان الوقت لتغيير جذري في محتوى المناهج، وقد تفحصت الكتب المدرسية المعتمدة في مدارسنا الثانوية والابتدائية وثبت لي أن بعض هذه الكتب صعب ومعقد ولا يخلو من أخطاء.

فعلى سبيل المثال: وردت العبارات الآتية في صفحة التمارين من كتاب الرياضيات المخصص للصف الثالث الابتدائي: «الخطة الخمسية الثامنة، وصاروخ أحادي المرحلة، وتوزيع الأسمدة الكيماوية على التعاونيات، والعملة الصعبة التي توفرها الصادرات، والخلائط المعدنية، وصوامع الحبوب» وتعابير أخرى لا يفقهها طفل في الصف الثالث الابتدائي. وقد سألت يوماً عدة أطفال في سن الثامنة أو التاسعة عن معنى هذه التعابير فأجاب جُلُّهم بالنفي.

وفي كتاب صيني لتدريس الأدب لطلاب السنة الأولى (إعدادي) وجدت شرحاً لقصيدة منمقة نحتاج إلى ثقافة عميقة لكي يفهم القارئ مقاصد الشارح. وكان الأجدر بالمؤلف اختيار نصوص أدبية تراعي مستوى فهم وإدراك الأطفال المبتدئين.

ولدى تصفحي للكتاب المخصص لتدريس الإيديولوجيا والعلوم السياسية لطلاب السنة الثالثة (إعدادي) وقع نظري على السؤال الآتي: «كيف يجب أن تكون العلاقة بين السلطات المركزية والإدارات المحلية؟» هذا ليس بالسؤال الهين وقد لا يستطيع وزير أو حاكم ولاية الإجابة عنه. لذلك طلبت من المسؤولين مراجعة مثل هذه الكتب وتعديل محتواها وكذلك استخدام كلمات أو تعابير مألوفة وتناول موضوعات من الواقع المعيش.

هناك أيضاً الكثير من الحشو في بعض الكتب المدرسية، فإذا أخذنا كتاب التاريخ على سبيل المثال نجده مليئاً بالتفاصيل التافهة من حيث عرضه وتحليله للأحداث التاريخية، ولا أراه ملائماً لتلاميذ لا تتجاوز سنهم الثانية عشرة أو الثالثة عشرة، فضلاً عن أن الامتحانات

في مادة التاريخ هذه مصممة لاختبار قوة ذاكرة الطالب ليس إلا، مثل تحديد وقوع حدث تاريخي معين باليوم والشهر والسنة.

ولعلنا لاحظنا جميعاً ولع فتياتنا وفتياننا بالدراما التاريخية المتلفزة وقدرتهم على تذكر تسلسل الأحداث، إني لا أدعو إلى تحويل دروس التاريخ إلى مسرحيات تاريخية، ولكنني أدعو إلى سرد الأحداث التاريخية ودلالاتها بأسلوب قصصي مدعوم بأفلام فيديو أو ما شابه.

أنتقل الآن إلى مادة الرياضيات، أثناء تصفحي لكتاب الرياضيات المعد لطلاب السنة الخامسة الإبتدائي، وقع نظري على التمرين الآتي: «يحوي مخزن للحبوب 15 طناً من الرز و20 طناً من الطحين احسب نسبة وزن الرز إلى الطحين (نسبة مئوية)، كم يساوي وزن الطحين قياساً بوزن الرز (عدد الأمثال)؟ بكم يتجاوز وزن الطحين وزن الرز (احسب الزيادة كنسبة مئوية)؟ ماهي نسبة وزن الطحين إلى وزن الرز؟

ألا يبدو هذا تكراراً السؤال نفسه بعد اللف والدوران؟!

لدى تصفحي لكتاب علم الأحياء البيولوجيا المقرر لطلاب الصف الأول الإعدادي اكتشفت أنه يفترض أن يدرس الطلاب أثناء فصل دراسي واحد (أربعة أشهر) مجموعة كبيرة من الكائنات الحية وتصنيفاتها المعقدة وهذا يغطي 30% من مقرر مادة علم الأحياء لطلبة المرحلة الإعدادية؟!

وفي كتاب الأدب المقرر لطلاب المدارس الإعدادية وجدت تمارين حول تحليل النصوص تحتاج إلى لغوي أو ناقد أدبي للوقوف على معانيها.

ولدى تصفحي بمختلف الكتب الدراسية تبين لي أن محتوى هذه الكتب بحاجة إلى تحديث من حيث إنه لم يعد يجاري العصر، فأكثر التمارين التطبيقية في مادة الرياضيات على سبيل المثال تشير إلى أدوات وأشياء ولى عهدها، ومن ثم لا تعكس الحياة المعاصرة والتكنولوجيات الحديثة التي يحتك بها أطفالنا في حياتهم اليومية.

والحق يقال إن جل النصوص المختارة في الكتب المدرسية هي من نتاج كتاب ومؤلفين من الأجيال السابقة، وقلما تجد شيئاً لكتاب معاصرين، كما أنه من النادر أن تجد أعمالاً شهيرة لكتّاب أجانب.

أذكر أني قرأت في صحيفة الشعب في عددها الصادر في 11 آب / أغسطس عام 2000، مقالاً قصيراً عن سيدة فرنسية توفيت عام 1997 عن عمر يناهز 122 سنة و164 يوماً، والمقال طريف ويتناول قواعد العيش وسر العيش المديد. إن مقالات كهذه مفيدة وتسترعي اهتمام القارئ.

يجب أن لا تقتصر الكتب المدرسية على ذكر مآثر أبطالنا من العصور الغابرة، هناك الكثير من الأبطال المعاصرين الذي يستحقون الإشادة بهم، من علماء وأطباء وموظفين وجنود، إن العلوم الطبيعية تتطور بسرعة وكذلك العلوم الإنسانية ولذلك ينبغي تطوير الكتب المدرسية والمناهج لمواكبة التغيرات الجارية والمستجدات.

بقي أن أشير إلى الأخطاء التي ترد في بعض الكتب المدرسية وهي قليلة، إن جل الأخطاء التي أتكلم عنها ناجمة عن عدم مواكبة التغيرات في المناخ الثقافي والاجتماعي، أو بعبارة أخرى ما نعده اليوم صواباً قد كان في الماضي خطأً والعكس صحيح، وقد لفت نظري في كتاب التربية الأخلاقية المقرر لطلاب الصف الثالث الابتدائي مقطع تحت عنوان حماية الحيوانات الثمينة وفيه صور لعدد من الحيوانات يليها السؤالان الآتيان: «هل يمكنك تعيين الحيوانات الثمينة المبينة في الصور؟ ما الذي يجعلها ثمينة بالنسبة للإنسان؟ هل ترتبط قيمة أي حيوان بمدى نفعه للإنسان؟» هذه أسئلة تقليدية لا تأخذ في الحسبان تغير نظرة الإنسان إلى الحيوان.

بطبيعة الحال لا تخلو بعض الكتب المدرسية من أخطاء واضحة، فعلى سبيل المثال شاهدت في أحد الكتب مصوّراً يظهر موقع مدينة ووهان إلى الشمال من النهر الأصفر، وفي كتاب آخر ترد العبارة الآتية: «تبعد الشمس عن الأرض 150 مليون كم» وفي مكان آخر في الكتاب نفسه نجد العبارة: «تبعد الشمس عن الأرض 1.496 مليار كم» أي زهاء عشرة أضعاف الرقم الأول. وفي كتاب رياضيات لطلاب المدارس الابتدائية وجدت العبارة الآتية

في أحد التمارين: «طائرة تطير بسرعة 1800 كم في الساعة...» والواقع أن الطائرة العادية تتراوح سرعتها من 800-900 كم/ساعة» وفي الكتاب نفسه وردت العبارة الآتية: «بعد تجهيز سيارة بأداة تجعل المحرك يستهلك وقوداً أقل..» هل يوجد هكذا أداة؟ لا يمكن جعل المحرك أكثر اقتصاداً في استهلاك الوقود إلا بإجراء تعديلات على المحرك. ما أريد قوله هو أن صياغة السؤال يحتاج إلى إعادة نظر، وفي مكان آخر في الكتاب نفسه يرد ذكر مبيد الحشرات روغور وهو من المبيدات التي تخضع لرقابة شديدة نظراً لآثاره السامة.

إني لا أدعي المعرفة في المجالات التي تطرقت إليها وربما أكون قد أخطأت أو أن ملاحظاتي في غير محلّها، كل ما أردته هو لفت انتباه الخبراء الذين سيتولون مراجعة هذه الكتب وإعداد كتب أخرى جديدة.

6.17 إصلاح المناهج دون تباطؤ

المحاور:

نعلم أنك وضعت معايير لتطوير مناهج التعليم الأساسي، وتأليف كتب مدرسية وفق المناهج الجديدة. ما مدى التقدم الذي أحرزتموه؟

لي لانكينغ:

إن تربية الشخصية تطال المراحل التعليمية كافة وترتبط ارتباطاً وثيقاً بمحتوى المناهج. وبعد أن درست الأوضاع في المدارس الابتدائية والثانوية وجدت أنه ينبغي التقيد بالمناهج الرسمية ومعايير التعليم والنظم الإدارية، وكذلك الأنظمة التي تحكم سير الامتحانات وكيفية التقويم، بالإضافة إلى تأليف الكتب وتعيين المعلمين، وتحديد مسؤولياتهم. إن محتوى المناهج يرتبط ارتباطاً جوهرياً ببناء شخصية الطالب.

بدأت عمليات تأليف الكتب المدرسية في عام 2000 بإشراف المسؤولين في وزارة التعليم وإرشادهم. وقد رأى بعضهم أن إصلاح مناهج التعليم الأساسي مشروع قد يستغرق تنفيذه عشر سنوات. وفي اعتقادي أن المشروع يمكن تحقيقه في مدة أقصر إذا اتبعنا السبل الآتية:

أولاً: يجب اعتماد الوسائل التكنولوجية والعلمية الحديثة، تحديداً شبكة المعلوماتية حتى نؤسس لقاعدة بيانات للكتب الدراسية، وبذلك نوفر الوقت ونرفع مستوى التوعية.

ثانياً: من المفيد إجراء مسابقات في تأليف الكتب المدرسية ودعوة عدة منظمات للإسهام في تأليف الكتب لكي نضمن مستويات علمية مفيدة، ونوعية جيدة، وسيسمح للمدارس بأن تختار الكتب التي تمت الموافقة عليها من قبل الدولة، وفي الوقت نفسه لن يسمح للمسؤولين حين وضع الامتحانات باختيار أسئلة صعبة لا مسوّغ لها أو فوق المستوى الذي يفرضه المنهاج.

ثالثاً: تكليف مجموعة من المختصين والخبراء والمدرسين القديرين في مجالات العلوم وعلم النفس التربوي بتحديد محتوى المناهج.

رابعاً: الاستفادة من الكتب الأجنبية.

أصبح لدينا اليوم مناهج حديثة للتعليم الأساسي بالإضافة إلى عدد كبير من الكتب الدراسية الجديدة. وقد راعينا في المناهج الجديدة التطورات الحاصلة في مختلف الميادين العلمية وتجنبنا الحشو الذي كان سائداً في المناهج القديمة. وأنا على يقين أن المناهج الجديدة أفضل من المناهج القديمة.

عند صياغة المناهج الجديدة أو تأليف الكتب الدراسية يجب أن نراعي البيئة الثقافية والاقتصادية في مختلف المناطق والأرياف بحيث تتناسب مع الواقع الثقافي والاقتصادي. كذلك ينبغي إيلاء العلوم التجريبية والمهارات التقنية أهمية أكبر مما تحظى به الآن. وأرى أن تراعي الكتب المدرسية مكونات المجتمع الصيني؛ بمعنى ألا تكون الكتب المدرسية واحدة موحدة في جميع أرجاء الصين، وخاصة في الأرياف والمناطق الفقيرة وأنا هنا أتكلم عن المدارس الثانوية والابتدائية، وعلى الدولة أن تعنى أكثر بالتقويم والإشراف على كتب التعليم الأساسي وضمان نوعيتها، وبالتواكب مع إصلاح المناهج يجب رفع مستوى أداء المعلمين في قاعات الدرس، وعلى الدولة والمحافظات تكريم ومكافأة المعلمين الأكفيّاء الذين أسهموا في تربية الشخصية، إضافةً إلى إصلاح امتحانات القبول الجامعي بما يتناسب مع المناهج الجديدة.

من الطبيعي أن يلاقي الإصلاح المقاومة، ولكن يجب أن نثابر على دعمه والترويج له وأن نكافئ من يقدّم الخدمات المميزة في هذه العملية.

وقد ظهرت بعض المشكلات أثناء طباعة وتوزيع تلك الكتب، فالورق المستخدم ثخانته أكثر مما يجب بحيث يجعل الكتب ثقيلة الوزن نسبياً ومرتفعة الثمن، ومن ثم غير ملائمة لاستخدام الأطفال فضلاً عن كلفتها الزائدة. وقد سعيت مراراً لتصحيح هذا الوضع والتصدي للمتاجرين بالكتب، لكن النتائج حتى اليوم غير مرضية.

وقد اعتمدنا أسلوب التنافس في نشر الكتب المدرسية عبر الدعوة لتقديم عروض وسيطّبق المبدأ نفسه على عملية توزيع الكتب، والهدف من ذلك هو خفض تكلفة النشر والتوزيع، والجدير بالذكر أن الكتب المدرسية المستعملة في بعض البلدان المتقدمة يعاد بيعها أو توزيعها بعد نهاية العام الدراسي على التلامذة الذين سيحتاجونها في العام المقبل، والأمر عندنا بالعكس فالكتاب يستعمله طالب واحد مما يزيد التكاليف واستهلاك الموارد. وحبّذا لو نستفيد من تجارب الأمم المتقدمة التي بدأت تسوق الكتب الدراسية الالكترونية، ومثل هذه الكتب سيحدث ثورة في أساليب التعليم وأرجو أن ندرّس هذا الموضوع وإمكانية الاستفادة من هذه التقانة في أقرب وقت.

6.18 تحفيز دراسة اللغات الأجنبية

المحاور:

ما هي في رأيك العقبات التي تواجه تعليم اللغات الأجنبية في الصين؟

لي لانكينغ:

إن تعليم اللغة الأجنبية لم يكن فاعلاً جداً في بلادنا، فالكثير من الخريجين لا يتقنون التحدّث والكتابة بلغة أجنبية علماً أن بعضهم تعلّمها على مدى عشر سنوات وبعضهم الآخر على مدى 14 سنة. وهناك مجموعة من المشكلات الرئيسية التي تعوق هذا التعليم أوردها على الشكل الآتي:

بقينا لسنين طويلة لا ندرك أهمية تعلم اللغات الأجنبية، وذلك بسبب انغلاقنا وعزلتنا وخشيتنا من ثقافة الغرب ورهبة الثقافة الأجنبية التي تعود لسببين:

السبب الأول: تعرض الشعب الصيني لقرن من الإذلال «حرب الأفيون» التي شنتها علينا القوى الغربية (1840 - 1842)، وهذا ما جعل الأمة تشعر باستياء طبيعي ضد الثقافات الغربية.

وما زلت أذكر كيف أكرهنا نحن الشباب على تعلم اللغة اليابانية إبان الاحتلال العسكري للصين، وتحضرني أول عبارة نطق بها مدرسنا الياباني: «أنا المدرس، وانتم الطلاب» ولم نرد أن نسمعها وعندما علّمنا كيف نقرأها، رددنا جميعنا بصوت واحد وبنبرة عالية أزعجته. لم نكن نرغب في تعلم اللغة اليابانية ولذلك لم نتقنها ألبتة. بعد تبنّي سياسة الإصلاح والانفتاح على العالم ازداد تواصلنا مع اليابانيين، وشعرت بالأسف لأنني لم أتعلم هذه اللغة بالقدر الكافي بالرغم من أنني وزملائي قضينا مدة ثماني سنوات في تعلّمها.

والسبب الثاني: هو كوننا محافظين وقانعين ومغرورين بتراثنا، ومن سخرية الأقدار أن تتحول الصين من بلد قوي ومزدهر، يتمتع بحضارة رفيعة إلى بلد رزح تحت وطأة الاحتلال والإذلال لأكثر من مئة عام منذ حرب الأفيون !! لقد حققت الثورة الصناعية التي أعقبت عصر النهضة الأوربية تقدّماً سريعاً في العلوم والتكنولوجيا والاقتصاد والثقافة.

وأصبحت تضاهي اليابان وأوربا وأمريكا الشمالية وذلك بعد انتفاضة الإصلاح في عهد «المايجي» (1868 - 1912) وحوّلت نفسها من دولة مستضعفة إلى دولة قوية. **فما الذي حدث للصين؟**

لقد ظللنا قروناً طويلة متمسكين بالإرث الإمبراطوري غاضّين الطرف عن التقدم الحاصل في العالم الخارجي، ورافضين أن نتعلم ونستوعب إنجازات الحضارات المتقدمة في العالم متمسكين بتقاليدنا الثقافية، ويمكنك أن تلمس حتى الآن العقول الجامدة وحتى بعد حملة الإصلاح التي أطلقها (دينغ كسيوبينغ) والانفتاح الذي دعا له، والمشكلة الكبرى الأخرى هي أننا نميز بين اللغة والثقافة، صحيح أن اللغة تسهم في بناء الثقافة لكنها أيضاً الوسيلة الوحيدة للتواصل بين الأفراد، ولذلك من الواجب أن ندرس لغات الأمم الأخرى للتواصل مع الأجانب على الصعيد الشخصي على الأقل.

ألم يكن كل من ماركس وفريدريك إنجل ولينين يتقنون التحدث بأكثر من لغة، ألا نعاني قلة القادة الذي يتقنون لغة أخرى؟ ماوتسي تونغ مثلاً درس الإنكليزية علماً أنه لم يسافر إلى الخارج لهذا الغرض. هل يعني هذا أنه وغيره من القادة قد تخلوا عن تراثهم القومي؟

قد يقول بعضهم نعم نحن بحاجة إلى دراسة اللغات العالمية ولكن لماذا لا ندعو لتعلم لغة «**الاسبيرانتو**» وهي اللغة التي طورها عدد من علماء اللغة لاعتمادها لغة عالمية مشتركة بين جميع أمم الأرض؟

وإجابتي قد تزعج أنصار «**الاسبيرانتو**» وهو أنه ليس من المنطقي عولمة لغة لا يتكلمها إلا حفنة من الناس، وقد يسأل سائل: لماذا لا ننشر اللغة الصينية التي ينطق بها عدد أكبر من الناس مقارنةً بأي لغة أخرى؟ ولهؤلاء أقول : أولاً: صحيح أن الذين يدرسون اللغة الصينية في تزايد مستمر ولكن اقتصادنا لم يتطور إلى حد يجعل كل أجنبي يسعى لتعلم لغتنا. ثانياً: من الصعب جداً على غير الصينيين تعلم اللغة الصينية المكتوبة.

دردشة مع الطلاب الأجانب في مختبر (الوسائط المتعددة) في جامعة بكين للثقافة واللغات، 21 تشرين أول 2002

إن كل أمة تعتقد أن لغتها هي الأسهل، لكن الوقائع تثبت عكس ذلك. وأذكر زيارة قمت بها إلى معسكر صيفي للأطفال عندما كنت في الاتحاد السوفيتي وحينها سألني أحد الأطفال: هل الصينية صعبة؟ فأجبته بالنفي، وعندما سألوني إن كانت الروسية صعبة فقلت نعم، ولكن الأطفال أجمعوا على أن الروسية أسهل لغة في العالم.إننا بحاجة إلى وضع طرائق وقواعد تحكم تدريس اللغة الصينية وقد قامت بذلك كل من جامعة **بيجينغ** للثقافة واللغات، وجامعات أخرى، وأرجو أن يتابعوا عملهم هذا. وأخيراً يجب أن نزيل المعوقات الإيديولوجية وندعم دراسة اللغات الأجنبية إلى أبعد حد وخاصة اللغة الإنكليزية كأساس في ذلك، دون أن نهمل اللغات الأخرى. وهذا في الواقع أحد مستلزمات التقدم التكنولوجي والعلمي.

6.19 ست نقاط مهمة حول تعلّم اللغات الأجنبية

المحاور:

ما هو في نظرك النهج أو الأسلوب المناسب الذي ينبغي اتباعه في تعلم اللغات الأجنبية؟

لي لانكينغ:

أولاً: يجب توحيد سياستنا في هذا الشأن على الأقل على مستوى المدن. فأثناء زيارتي لإحدى المدن اكتشفت أن بعض الطلاب يبدؤون دراسة اللغة الأجنبية في الصف الأول الابتدائي، وبعضهم الآخر في الصف الثالث، وهناك مجموعة أخرى من الطلاب الذين يبدؤون دراسة لغة أجنبية في المراحل المتوسطة، وهذا يعني أن بعض الطلاب كانوا يضطرون عند انتقالهم إلى مدرسة أخرى إلى تكرار مادرسوه بدل الانتقال إلى مرحلة أعلى. وقد بلغني أن المدارس في مدينة جيننغ شرعت بتعليم اللغة الإنكليزية في مدارسها بدءاً من الصف الأول الابتدائي.

لا شك أن الظروف المحلية تختلف من مدينة إلى أخرى لكنني بالرغم من ذلك أعتقد بضرورة البدء في تدريس اللغة الأجنبية في المدارس كافة ضمن المدينة الواحدة شريطة أن تتقيد جميع المدارس بتدريس اللغة بدءاً من الصف الأول مثلاً.

إن الاختلاف بين المناطق بسبب قلة مدرسي اللغات الأجنبية، مشكلة يجب حلها وذلك بزيادة عدد مدرسي اللغات في الجامعات، وخاصة الآن بعد أن انخفضت أسعار الأجهزة والوسائل السمعية والبصرية والحواسيب، بحيث بات من السهل استغلالها إلى جانب الكتب الدراسية بوصفها عاملاً مساعداً في سد النقص الحالي في عدد المدرسين المختصين بتعلم اللغات الأجنبية. وأذكر أنني حضرت درساً لتعليم اللغة الإنكليزية أثناء زيارتي إلى مدرسة ابتدائية في إحدى المناطق الغربية النامية، ولا أنكر أن المدرّس كان يعمل بضمير ومسؤولية لكن لفظه للكلمات كان رديئاً، وقد قيل لي إن هذا المدرّس قد جيء به من إقليمٍ آخر.

ووفق حساباتي وجدت أنه بنحو 2000 يوان يمكننا تزويد المدرسة بمحرك أقراص DVD مع أقراص لتعليم النطق بالإنكليزية، وبالنسبة لطرق تعليم الإنكليزية أرى أنه ينبغي التركيز على مسألتين أساسيتين: الاستماع واللفظ السليم، وبعد ذلك يتعلم الطالب القراءة والكتابة وقواعد اللغة. إن أكثر الناس يتعلمون اللغة لأغراض عملية وللاتصالات دون أن يهتموا بإتقان النطق والمحادثة. يروي البروفسور(تشين دايون) تجربته في تعلم اللغة الألمانية، قائلاً: إنه بدأ تعلّمها عندما أعطاه أحد أساتذته كتاباً ليترجمه. وقد كانت لي تجربة مماثلة عندما تعلمت الإنكليزية: فأثناء دراستي في المدرسة الابتدائية والإعدادية لم تكن اللغة الإنكليزية مادة مقررة وكان علي أن أدرِّسها في أوقات فراغي. وبعد أن انتصرت الصين في حرب التحرير ضد اليابان درست الإنكليزية بدءاً من الصف الثالث الإعدادي إلى حين التحاقي بالجامعة.

إلا أنه بعد التحرير كان تعلم الإنكليزية غير مفيد بسبب العقوبات التي فرضتها بريطانيا وأمريكا على الصين، لذلك انصرفنا إلى تعلم اللغة الروسية كي نحصل على مساعدة الاتحاد السوفيتي، وأثناء الخطة الخمسية الأولى (1953-1957) التي تضمنت إنشاء أول مصنع للسيارات في الصين نقلت إلى(تشانغ شون) للمشاركة في الأعمال التحضيرية لبناء المجمع الصناعي، وبما أن المشروع كان سينفَّذ بمساعدة السوفييت كانت الأمور التقنية والمخططات كافة باللغة الروسية ووجّب ترجمتها إلى اللغة الصينية، ولذلك طلبت منا القيادة تعلم الروسية لندرة الخبراء الذين يجيدون هذه اللغة، فكان أن خضعنا لبرنامج مكثّف أعدّته جامعة تسينغهوا.

كانت البداية بطيئة ولكننا ثابرنا مستعينين بالمعاجم. كنت أنا وزملائي نسجل كل كلمة جديدة حتى تكوّنت لدينا قائمة بالكلمات الجديدة، واظبنا على حفظها كلما سنحت لنا الفرصة وعندما أصبح لدينا مخزون جيد من المفردات أصبحت ترجمتنا أسرع. وقد كنا نكرّس أوقات الفراغ للدّراسة والترجمة والكتابة. وتكلّلت جهودنا بنشر عدة كتب ومقالات بعد نقلها من اللغة الروسية إلى الصينية.

اختارني القائمون على المشروع فيما بعد للخضوع لدورة تدريبية في الاتحاد السوفيتي ظناً منهم أنني صرت أتقن الروسية جيداً، علماً بأنه لم أكن مهيأً للعمل في بيئة أجنبية ولكن وبعد وصولي إلى هناك لم أجد الصعوبة التي توقعتها في التعاطي الشفهي.

في اليوم الوطني عام 1956، وبناءً على توصية السفارة الصينية، دعاني راديو موسكو لإلقاء خطاب بالروسية نيابة عن كل الطلاب والمتدرّبين والعاملين الصينيين في الاتحاد السوفيتي. وأثناء مهرجان الشباب الدولي في موسكو 1957، بعضنا عمل مترجماً للمفوضية الصينية.

إن وسائل تعليم اللغات أصبحت متوافرة حالياً، مثل المسجل النقال (walkman) وأشرطة التسجيل CD و DVD المستخدمة في الحواسب، وشبكة الإنترنت، ووسائل التعليم والتعلم أصبحت اليوم أكثر تنوعاً وشيوعاً.

في عام 1997، التقى طلاب جامعة بكين وشنغهاي وغونزهو وهونغ كونغ، في مهرجان خطابي باللغة الإنكليزية رعته وزارة التعليم للاحتفال باستعادة الصين سيادتها على هونغ كونغ. لم تكن هذه المناسبة بمنزلة تعبير عن حب الطلاب لوطنهم فحسب وإنما لعبت أيضاً دوراً إيجابياً في حث طلاب الجامعات على تعلّم الإنكليزية.

هناك في اعتقادي ست نقاط ينبغي أن يتنبه لها كل من يود تعلم لغة أجنبية:

1- الرغبة: مهما كان حافزك لن تستطيع إتقان أي لغة أجنبية إذا لم تكن لديك الرغبة.

2- الاجتهاد: لا بد من العمل الدؤوب والمتواصل، أياً كانت الطريقة التي تستخدمها في تعلم لغة ما.

3- التمرين: عندما تدرس لغة أجنبية فأنت لا شك تنوي استخدامها.

4- الجرأة: عندما تتدرب على التحدث بلغة أجنبية لا تُبالِ بالأخطاء التي قد ترتكبها. إن ما يخشاه الصيني هو التعرض للضحك أو السخرية وهي مخاوف في غير محلّها. فنحن نشعر بمودة تجاه أصدقائنا الأجانب الذين يتكلمون الصينية مهما أخطؤوا في اختيار الكلمات أو الأفعال. وهل يجوز أن نسخر منهم؟ وإذا نظرنا إلى الأمر من زاوية أخرى: إن الخطأ أو بعبارة أدق تصحيح الخطأ هو الذي يجعل الكلمة الصحيحة ترسخ في ذاكرتك. خلاصة القول: إن من لا يخطئ لا يتعلم.

5- المثابرة: مثل أي عمل أو دراسة فإن المثابرة والمتابعة مطلوبة في دراسة اللغة الأجنبية، وقديماً قالوا: من جدَّ وجد.

المؤلف يلقي خطاباً بالإنكليزية على طلاب كلية شنغهاي في أثناء انعقاد منتدى اللغة الإنكليزية في جامعة فودان بمناسبة الاحتفال باستعادة الصين سيادتها على هونج كونج- 10نيسان/إبريل 1997

لقطة مع الطلاب نالوا جائزة المنتدى، 10 نيسان/إبريل، 1997

6- الثقة: وبالمقارنة مع اللغات الأخرى فإن اللغة الإنكليزية سهلة نسبياً حيث توجد أوجه شبه كثيرة بين قواعد اللغة الصينية وقواعد اللغة الإنكليزية.

ومن الطبيعي أن تكون الطريقة التي يتعلم بها المرء مساعدة على تحسين الدراسة، وهناك طرائق عديدة للتعلم بها ولكن يجب أن تُنسَّق بعناية وتتطور باستمرار. والأمر الأهم هو تأمين البيئة المناسبة للاستماع والتكلم بالإضافة إلى القراءة والكتابة، مع التشديد على المهارتين الأولى و الثانية.

إنَّ الكثيرين من خبرائنا وتلاميذنا -باعتقادي- لا يقلون شأناً عن نظرائهم من الأجانب في مجال القدرة العلمية والأكاديمية، لكنهم أقل قدرةً في التعبير عن نفسهم باللغات الأجنبية، مما يصعب عليهم التواصل والتخاطب مع الأجانب... لكن الأمر قد تغير اليوم حيث أظهر معلمونا وطلابنا تطوراً كبيراً في اللغات الأجنبية، ومن المأمول وبفضل الجهود المبذولة أن تنضم الصين إلى مجموعة الدول التي خطت خطوات كبيرة في مجال نشر تعليم اللغات الأجنبية ولديها أكبر عدد من السكان الذين يتكلمون لغة أو أكثر إلى جانب اللغة الأم.

6.20 لا يجوز قطعاً التخلي عن الرموز المستخدمة في كتابة اللغة الصينية

المحاور:

من المعروف أنك دافعت مراراً عن ضرورة تعلم الطلاب لفن الخط، وامتلاك هذا الفن، ماذا يعني ذلك في عصر التكنولوجيا؟

لي لانكينغ:

كان اختراع اللغة المكتوبة عاملاً جوهرياً في نشوء الحضارات. والكتابة هي إحدى أهم الوسائل التي مكّنت الأمم من التعبير عن إرثها الثقافي وتطويره. والسرّ في استمرارية الحضارة الصينية يكمن في لغتها المكتوبة، وأنا أرى أن الرموز الصينية بالإضافة إلى كونها وسيلة لتبادل المعلومات، ذات أشكال وبنية منطقية تجعلها سهلة التعلم، ومن ثم سهلة التذكرّ والكتابة. وتتكون الغالبية العظمى من الرموز الصينية الأساسية من أشكال تمثل الأشياء التي ترمز لها.

ومن الأمثلة على ذلك: عصفور أو سمكة أو بطة أو حمامة، وحسب دراسة أجراها المجمع اللغوي القومي أنه يحتاج المرء إلى معرفة 1500 رمز تقريباً كي يستطيع قراءة صحيفة عادية أو مجلة، وحفظ 2500 رمز يكفي لقراءة 98% من الصحف والمجلات، و3500 رمز يكفي لقراءة 99% منها. إن أربعة كتب من الأعمال المختارة لماوتسي تونغ تحتوي على 660000 رمز مركب، عدد الرموز المستخدمة يبلغ 2900 رمز. بالإضافة إلى أن جل الرموز الصينية ذات معانٍ مستقلة، ويمكن استخدام رمزين أو أكثر لتشكيل مفردات جديدة.

إليك المثال الآتي الذي وقعت عليه في أحد الكتب: لنأخذ الرموز الثلاثة التي تمثل «نار» و«فم جبل النار» أي «بركان» و «فوهة البركان» وهكذا يجب أن تترجم إلى اللغات الأخرى. على حين أن الناطقين بالإنكليزية يضطرون في أكثر اللغات إلى نحت أو صياغة كلمة جديدة عندما تدعو الحاجة.

وتجدر الإشارة إلى أن من يعرف 4000 أو 5000 رمزٍ صيني يستطيع التعبير عن أشياء وأمور كثيرة أكثر مما يبدو في الوهلة الأولى. ونظرياً فإن قراءة الصينية هي عبارة عن عملية صياغة للمعاني والألفاظ التي تتدفق إلى الذاكرة في الحال، والفضل في ذلك يعود إلى طبيعة ترميز الحرف الصيني. ومن ثم تصبح النصوص الصينية واضحة تماماً، إذْ يمكننا قراءة عشرة أسطر بلمح البصر دون أن تنتقل من سطر إلى سطر ومن كلمة إلى كلمة كما هو الحال في اللغات اللاتينية التي تنطلق من الأحرف الأبجدية، والمقاطع الصوتية، والكلمات إلى اللفظ؛ لذلك تجد في الصينية جملة «النظر إلى الكتاب» وتعني للصيني «قراءة الكتاب».

هناك ميزة أخرى للغة الصينية المكتوبة وهي أنه جرى توحيد الرموز منذ زمن بعيد (221 - 206 قبل الميلاد) والذي نلاحظه أن قواعد الكتابة التي اعتمدت في أثناء عصر **الأباطرة** «هان» (206 قبل الميلاد – 220 بعد الميلاد) لا تختلف كثيراً عن الكتابة الحديثة. لقد أدَّت رموز الكلمات الصينية دوراً كبيراً في تطوير حضارتنا. وكان الرأي السائد فيما مضى يتمثل في استحالة معالجة النصوص الصينية بواسطة الحاسوب، واليوم نستطيع معالجة النصوص وطباعتها عبر الحاسوب –أسرع من طباعة اللاتينية. إن رموز الكتابة بالصينية التي استنبطها أجدادنا اختراع مدهش ومدعاة للفخر.

يمتاز الخط الصيني بخصائص فنية ودلالات ثقافية، تتجلى في النقوش القديمة على البرونز وصفائح الخيزران والحرير وغيرها من النقوش البديعة وأشكال الخطوط المتنوعة. وكان لدينا عبر التاريخ عدة مدارس ارتفعت وازدهرت وبقيت رائعة واستمرت عبر العصور. وأورثتنا كنزاً فنياً لا ينضب.

إن إتقان فن الخط هو مسؤولية تاريخية مكنتنا من التعبير عن إرثنا الحضاري وتنمية حسّنا الثقافي، وقدراتنا على التفكير البصري والرمزي.

إننا نعيش في عصر المعلوماتية وهذا يستدعي الحفاظ على تراثنا القومي المكتوب. وقد أضافت عدة مدارس فن الخط إلى أنشطة الطلبة، ومن المؤثر أن نشاهد ولع أطفالنا بالخط.. وقد اقترحت إضافة فن الخط أو التخطيط إلى دروس الفنون، كي يتسنى للطلاب

التدرب على كتابة الحروف الصينية، وفي رأيي أن ذلك عامل مهم في التطوير الشامل لشخصيات أطفالنا.

6.21 ينبغي الإبقاء على رموز الكلمات الصينية المبسطة، بيد أنه لا ضير من تعلّم بعض الصيغ القديمة لبعض الرموز.

المحاور:

إن الأكاديميين اليوم منقسمون حول مسألة الرموز الصينية المبسطة، فبعضهم يزعم أن الرموز المبسطة لن تتحقق إلا بعد إلغاء الرموز القديمة، في حين يزعم الفريق الآخر أن الرموز المبسطة قد شوّهت تقاليدنا الثقافية فما قولك؟

لي لانكينغ:

كنت قد أشرت إلى أبرز حسنات الرموز الصينية المكتوبة، ولكنها بوصفها وسيلة لنشر المعرفة لا تخلو من بعض الثغرات أو السلبيات، فبعضها معقد جداً قراءةً وكتابةً، وتؤثر بصور مختلفة على كفاءة العمل. لذلك مرّت بجولتين من التبسيط في أثناء توحيد الصيغ. وقد أثبتت التجربة في أثناء العقود القليلة الماضية نجاحَ تبسيطِ واختصار الصينية. فالصيغ المبسطة الموحدة هي الضمانة الأفضل في نشر واستمرارية الحضارة الصينية التقليدية، فالأحرف المبسطة مستقاة من الكتابة بخط اليد التي نجدها في المخطوطات الرسمية وغير الرسمية.

ورد في الآثار والنقوش القديمة عدة رموز وهي تشبه إلى حد بعيد المبسطة الحالية. إن الخبراء الذين أسهموا في تبسيط رموز الكلمات الصينية في الخمسينيات كانوا على دراية بهذه الصيغ المبسطة القديمة العهد. وفي أثناء زيارة لرؤية جدارية أثرية في (نانجينغ) شاهدت بنفسي خمسة رموز مطابقة تماماً للرموز المبسطة الحالية. وعلى أي حال فلن يتغير معنى الكلمة حتى لو غيرنا رمزها ألف مرة.

إن الكتب الدراسية اليوم تستخدم الرموز الحديثة المختصرة، وكذلك الأمر في الوثائق القانونية والإدارية، والصحف والمجلات والنشرات الدورية والكتب، بالإضافة إلى استخدامها في التواقيع والأختام والإعلانات وأضواء النيون والملصقات الإعلانية.

إنني مؤمن بضرورة شيوع الرموز المبسطة التي تحظى اليوم بقبول كبير من قبل العامة، ولم يعد بالإمكان العودة إلى الرموز القديمة للكلمات، ولا أرى ما يوجب القلق في هذا الشأن.

كان هناك مشروع لتبسيط مجموعة ثالثة من الرموز المبسطة، لكن مجلس الدولة اتخذ قراراً بإلغائها بعد مدة قصيرة من إعداد الخطة. وأنا أرى أن أشكال الكلمات التي تم تبسيطها تفي باحتياجاتنا اللغوية.

إن قواعد كتابة اللغة الصينية مسألة ذات أهمية جوهرية، ومن المضر المبالغة في تغييرها، بل يجب أن نبقي على ثباتها في أثناء مدة لا بأس بها من الزمن.

وبالنسبة إلى مسألة الرموز المركبة والجدل الدائر حول إلغائها، فأنا لا رأى ضرورة لذلك. ويجب أن لا نغالي في رغبتنا في تحديث الخط الصيني، فالخط الصيني فن رفيع يستهوي الكثيرين، ويحتل مكانة تاريخية في ثقافتنا الفنية بالمخطوطات القديمة، ومن المفيد لأبنائنا أن يقرؤوا الكتب القديمة التي خطها أجدادنا، وأن يدرسوا فن الخط الذي ورثناه.

6.22 الإسراع في تعميم استخدام» الـ بوتونغوا (اللغة الصينية الموحدة)

المحاور:

ما رأيك في الترويج للصينية الموحدة أو «الـ بوتونغوا»؟

لي لانكينغ:

لست راضياً تماماً عن النتائج التي تحققت حتى الآن مقارنةً بما حققناه في إشاعة استخدام الحروف المبسطة. إني لا أدعي أننا حققنا بعض التقدم في توحيد اللغة الصينية المحكية.

إن لغة البوتونغوا شائعة في المدن، إذ يتكلم بها الأهالي ويفهمونها، وصحيح أن الناس يتكلمون بلهجاتهم المحلية إلا أنهم يفهمون البوتونغوا أما سكان الأرياف، وخاصة المناطق

الفقيرة فغالبيتهم لا يتكلمون ولا يفهمون البوتونغوا، وهذا يؤثر سلباً على التطور الاقتصادي والاجتماعي في كل الأمة.

لا بد من توحيد اللغة المكتوبة والمحكية لضمان وحدة وتطور الوطن، علماً بأنه قد حدثت محاولة في هذا الشأن إبان عهد الإمبراطور (يونغ زهينغ) الذي أصدر مرسوماً لهذه الغاية، وهذا المرسوم محفوظ في الأرشيف.

إن حكومتنا معنية بنشر لغة البوتونغوا وقد خطت خطوات كبيرة في هذا السبيل بالرغم من الصعوبات الجمة التي واجهتها وتواجهها في الشأن، خاصة أن الصين بلد مترامي الأطراف، وهناك العديد من المجموعات السكانية التي تعيش في بقاع منفصلة بعضها عن بعض وانعدام التواصل الاجتماعي واختلاف اللهجات المحلية. وهناك عائق آخر وهو تعصب سكان تلك المناطق للهجاتهم المحلية، وتمسكهم بها.

أما بالنسبة للوضع الراهن فإن نشر لغة البوتونغوا يعتمد بوجه رئيس على تهيئة الطلاب في مدة التعليم الأساسي، ولكن المدرسين لا يمتلكون مهارات تعليم هذه اللغة فضلاً عن أنهم لا يتكلمونها أصلاً، فكيف سيعلّمونها للتلاميذ؟ إلا أنه بفضل إصلاح التعليم الأساسي وتطبيق التعليم الإلزامي الجاري والتعليم عن بعد يجعل مهمتنا أسهل، وخاصة في موضوع تعميم تدريس لغة البوتونغوا في المدارس الابتدائية والثانوية. كما أننا نستطيع استغلال هذه التقنيات لتدريب وإعداد المعلمين. وإضافة إلى ذلك يجب العمل بجد على رفع مستواها لدى المعلمين وموظفي الدولة، وفي اعتقادي أنه إذا تابع المسؤولون اهتمامهم بهذا الموضوع فلن يستغرق تحقيق الهدف المنشود وقتاً طويلاً، والهدف هنا هو نشر «الـ بوتونغوا» وجعلها اللغة الرسمية للبلاد.

6.23 إصلاح أنظمة التقويم والامتحانات

المحاور:

إن تطبيق مبدأ تربية الشخصية في بلدنا يعاني مشكلات ترتبط بأنظمة التقويم والامتحانات في مجال التربية والتعليم، فكيف نعالج هذا الموضوع؟

لي لانكينغ:

إن ما تقوله صحيح، وإحدى المشكلات الأساسية تكمن في اعتماد معيار وحيد فقط لتقويم الطالب وتقرير مستقبله بصورة نهائية. وبعبارة أخرى أقول: إن الأساليب المتبعة في تقويم الطالب لا تساعد أو تشجع الطالب وإنما تعمد إلى استبعاد الطالب؛ لذلك لا بد من إصلاح أنظمة التقويم والاختبار. وفي هذا السياق أقول الآتي:

1- إنني أدعم إلغاء نظام «مئة علامة» في التعليم الإلزامي، والواقع أن مديريات التربية تؤيد هذا الرأي، لكن العمل الذي أنجز في هذا الشأن لا يزال قاصراً والمشكلة تكمن في أن السلطات المعنية تضع سياسات لا تنفذ على أرض الواقع، وما ينفذ أحياناً يتعارض مع هذه السياسات، والواقع أن إلغاء نظام «مئة العلامة» في التعليم الابتدائي بات ضرورة ملحة، فحالياً وعلى سبيل المثال، ينال الطالب علامته مقترنة بالتقويم R، A إذا حصل على 92% على الأقل، وهذا ما يحصل في المدارس الابتدائية والثانوية، وأنا أرى أنه من الأفضل عدم ذكر العلامة والاكتفاء مثلاً بعبارة: «ممتاز» أو «جيد جداً» أو «مقبول» أو «راسب» أو ربما استخدام رموز التقويم «A» أو «B» أو «C». ليس من المفترض أن تذكر المدرسة العلامة التي حصل عليها في امتحاناته النهائية.

1- أداء الطالب في أثناء دراسته يستحق أن يجعل مَحلَّ الاهتمام. والتقويم لا يجب أن يتوقف عند نتائج الامتحانات.

3- من المفيد أن يرافق الدرجة تعليقات تتضمن التقدير والتشجيع.

4- يجب أن تتقيد الامتحانات بمحتويات المنهاج الدراسي المقرر.

5- يجب أن تتولى جمعيات أهلية مسؤولية خدمة الطلاب الراغبين في خوض امتحانات القبول بدلاً من المدارس الثانوية التي تسعى لزيادة عدد خريجيها المؤهلين لدخول الجامعة؛ مما يجعل الطلبة والعامة ينظرون إلى معدل القبول بوصفه أساساً في تقويم ومقارنة المدارس. وأنا أؤكد على عدم ربط أسماء الناجحين في امتحانات القبول الجامعي بالمدارس الثانوية التي تخرجوا فيها، ولا أرى أن ذلك سيؤثر سلباً

على مكانة أو سمعة تلك المدارس. وهذا ينطبق على الجامعات، وعلى أي حال نستطيع دائماً التمييز بين جامعة جيدة وجامعة ضعيفة.

إن تقويم عامة الناس للمدارس يعتمد على مستوى كفاءة الطلاب الذين تخرجهم هذه المدارس ومدى فائدتهم للمجتمع، أكثر مما يعتمد على عدد الذين التحقوا بالجامعات في هذه المدرسة أو تلك. إن تبني وجهة النظر هذه سيسهم في تخفيف الضغط على المدارس كما سيساعد في بناء شخصية تلامذتنا.

6- إننا نقوم اليوم بإجراء امتحانات القبول لدخول الجامعات مرتين في العام في الربيع وفي الخريف بدلاً من امتحان سنوي واحد، وقد شرعنا في تطبيق هذا الأمر. إن إعادة النظر بطرق ومحتوى الامتحانات لا يعني انتقاصاً من قيمة الامتحانات، ومقارنة مع طرق الانتقاء الأخرى تبقى الامتحاناتُ طريقةً أكثر عدلاً ومنطقية، فضلاً عن أنه لا يمكن الاستغناء عن امتحانات القبول في المدارس الثانوية الكبرى، ومن جهة أخرى لا يجوز اعتماد نتيجة الامتحان فقط لتقويم الطالب بوجه عام، بل يجب أن نختار وسائل أكثر شمولية ومنطقية تجعلنا قادرين على اختبار التطور العام للطالب وعلى إنتاج الاختصاصات المنافسة بكل الوسائل.

العناية بالصحة النفسية والجسدية للتلاميذ

6.24 التشديد على تطبيق مفهوم «الصحة أولاً»

المحاور:

ما الذي يجب فعله في مجال رعاية صحة الطالب البدنية والنفسية بوصفها من عناصر بناء شخصية الطالب؟

لي لانكينغ:

إن الصحة الجسدية هي ضرورة للشباب كي يتسنى لهم خدمة شعبهم ووطنهم، وهي تجسيدٌ لحيوية الأمة؛ لذا يجب الأخذ بمبدأ «الصحة أولاً»، ولا ينبغي ألبتة أن نهمل الرياضة البدنية في مدارسنا.

كان يطلق علينا فيما مضى اسم «رجل الشرق المريض»، لكن الصحة العامة تحسنت تحسناً ملموساً منذ تأسيس الصين الجديدة، حيث إنّ متوسط الأعمار في حياة الفرد عندنا قد تضاعف، وصار الرياضيون الصينيون يحققون نتائج مميزة في الألعاب الأولمبية والمنافسات الرياضية الدولية الأخرى. وإن صحة الفرد وسلامة بنيته في المستقبل تظهر معالمها في أثناء سنواته الدراسية بوجه عام.

وفي زيارة لي للمدرسة التي ارتادها (ماوتسي تونغ)، والتي أول مدرسة لتأهيل المعلمين في إقليم (هونان) قيل لي: إن ماو كان مهتماً جداً بالتمارين الرياضية، وإنه كان يستحم يومياً بالماء البارد.

وقد توفي سبعةٌ من زملائه في الدراسة واحداً بعد الآخر بسبب المرض فكتب هذا الرثاء: «لماذا مات سبعة من زملائي؟... ماتوا لأنهم لم يقتطعوا من أوقاتهم عشر دقائق للرياضة».

إن التربية البدنية اليوم هو جزء من التعليم الإلزامي، والمطلوب وضع خطط مدروسة تحدد عدد الساعات المخصصة للتربية البدنية والأنشطة الطلابية خارج ساعات الدوام. وقد زادت وزارة التعليم عدد ساعات التربية البدنية في إطار خطة إصلاح المناهج. وعلى الحكومة اتخاذ الإجراءات الضرورية كافة لتوفير الظروف المناسبة وبناء المنشآت الخاصة بالرياضة في المدارس كافة، وتضمن استغلالها على النحو الأمثل. كذلك يجب بناء قاعات للألعاب الرياضية لإعداد الرياضيين وتأهيلهم للمشاركة في المنافسات الدولية. ويستحسن أن تكون مثل هذه القاعات والملاعب ملحقة بالمدارس ولكن هذا الوضع غير ذلك في الكثير من المدارس، وهذا من الأمور التي ينبغي التنبه لها ومعالجتها. وكذلك الأمر في المناطق الريفية، ويجب أن نسير في هذا الاتجاه، ونخطط لتنظيم المنافسات في الألعاب الرياضية، لتنمية روح المنافسة والانتماء للفريق.

وما زالت لدينا مشكلات جديرة بالاهتمام، فعلى سبيل المثال: من الملاحظ أن معدل أوزان أطفالنا يتراجع بالمقارنة مع البلدان الأخرى، فالكثير منهم إما بدينٌ جداً أو هزيل جداً. فضلاً عن عن قصر البصر الذي يشكو منه الكثيرون، وهناك أمراض منتشرة بين الكهول وكبار السن واليوم تنال الشباب. وفي بعض المناطق سُجِّلَتْ حالات تُعَاني من نقص في الكالسيوم، والزنك، إضافة إلى بعض المشكلات الصحية المنتشرة بين الأطفال.

لذلك يجب البدء في العناية بصحة الفرد منذ سنوات النمو الأولى عبر الغذاء الصحي والتمارين الرياضية، ونشر الوعي الصحي والالتزام بالتربية الصحية السليمة. والأطفال يعتمدون على الوالدين في التنشئة البنيوية؛ لذلك يجب التركيز على الأهل في المقام الأول. ولتحقيق هذه الغاية وضع مجلس الدولة خطة إعانات للتلاميذ في ثلاثة أقاليم في الشمال الغربي تتضمن حليب فول الصويا الذي يقدم بين الحصص المدرسية. والمؤسف أن بعض المدارس أخذت تستغل هذا الموضوع في إجراء صفقات غير قانونية لجني أرباح على حساب صحة التلاميذ، وقد وقعت حوادث تسمم بسبب الحليب الفاسد، مما أثار سخط الحكومة التي كَوَّنَتْ لجنة تحقيق لتقصي الحقائق ومقاضاة المسؤولين عن هذه الحوادث.

إذاً يجب أن تبدأ العناية بالصحة العقلية والجسدية من مرحلة الحضانة والتخفيف من الأعباء المدرسية، كالواجبات الملقاة على عاتق التلاميذ، ومكافحة بعض العادات الاجتماعية السيئة التي قد تتسلل إلى التلاميذ. لقد كنت وما زلت أصر على برامج تربوية في مجال الصحة العامة وحماية البيئة من أجل مستقبل أطفالنا، وعندما نُسَلِّحُ أطفالنا بالمعرفة الكافية بمبادئ الصحة العامة وحماية البيئة وأساليب الحياة الصحية السليمة، عندها سنكون قادرين على إرساء قواعد متينة تضمن تطبيق أهداف الحكومة في تأمين الخدمة الطبية والرعاية الصحية الشاملة التي تؤدي إلى الوقاية من الأمراض والأوبئة والتي تضمن صحة وسلامة الشعب الصيني.

6. 25 لم يسبق أن أهملت أي مشكلة تمس سلامة تلاميذ المدارس

المحاور:

كنت قد أصدرت مجموعة من التعليمات الخاصة بسلامة الطلاب، فكيف نضمن تنفيذ هذه التعليمات؟

لي لانكينغ:

لقد أحرزنا تقدماً كبيراً في ميدان التربية والتعليم في أثناء العقد الماضي، ولكن سلامة المدارس أَقَضَّتْ مضجعي في أثناء تلك المدة، وقد وقعت حوادث تسببت في خسائر بشرية

ومادية في مدارسنا منها: الحرائق، وانهيار المباني، وحوادث السير، وحوادث التسمّم الناجمة عن تناول أطعمة، وحوادث إطلاق نار وقتل. لذلك كنت أشدد دوماً على وضع سلامة المدارس في قمة أولوياتنا.

كنت دوماً أحرص على عمل كل ما بوسعي لتفادي وقوع مثل هذه الحوادث، وقد أصدرت تعليمات باتخاذ إجراءات مناسبة ضد أولئك المسؤولين المحليين الذين أهدروا الأموال على بناء المعابد البوذية الكبيرة، وغضوا الطرف عن أبنية المدارس غير الآمنة. وقد بلغني ذات يوم أن تَلاَمُساً كهربائياً في بعض الكابلات الكهربائية المهترئة في أحد المهاجع الجامعية قد تسبب في حريق فسارعت إلى تحري الأمر، واقترحت على رئيس الحكومة تخصيص المال من احتياطي رئيس الحكومة لتبديل الكابلات القديمة. وفي مناسبة أخرى بلغتني أنباء عن زحمة السير والفوضى عند البوابة الشرقية لجامعة بكين والأخطار التي قد تنجم عن هذا الوضع، فسارعت إلى الاتصال والتنسيق الفوري مع الجهات المختصة، وتابعت الموضوع إلى أن تم إنشاء معبر خاص للمشاة. ونتيجة لتفاقم الأوضاع الأمنية في محيط المباني الجامعية كن أحث دوماً الجهات المعنية على المبادرة بوضع آليات طويلة الأمد لضمان أمن وسلامة الحرم الجامعي.

وهناك مشكلات كثيرة في هذا الشأن ولا يستطيع مسؤول بمفرده معالجتها، وأنا من ناحيتي لم أسمح يوماً للروتين والبيروقراطية أن يَعُوَقا عملي، وخاصة عندما يتعلق الأمر بسلامة وأمن أبناء شعبنا.

إن تلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية بحاجة إلى التوعية والإرشاد في مجال السلامة والصحة العامة، والمشكلات التي تنجم عن طيش التلاميذ في سن المراهقة، وهنا أشير إلى أنه في عام 1996 –أكدت وزارة التعليم والوزارات الأخرى المختصة– على ما يأتي: «عند حصول أي حدث طارئ ينجم عنه إصابات بشرية يتعين على المسؤولين كافة والإدارات المحلية من المستويات كافة التشديد على تطبيق مبدأ «السلامة أولاً» وأن يتذكروا سلامة المدرسة متجنبين الشجارات الحادة والنزاعات الداخلية التي لا مسوِّغ لها».

إنَّ للإعلام دور كبير في نشر التوعية الصحية ومساعدة المعلمين والطلاب؛ وذلك عن طريق توفير المعلومات الخاصة بالسلامة كافة؛ كي يتسنى لهم مواجهة الحالات الطارئة، والحفاظ على أمن وسلامة المكان والأفراد؛ لتحقيق الطمأنينة والاستقرار الأمني في مؤسساتنا التعليمية. وينبغي القيام بزيارات تفقدية دورية إلى المدارس للتأكد من توافر متطلبات السلامة كافة ولمتابعة المشكلات الطارئة وحلّها فوراً، ولا يقتصر الأمر على المباني المدرسية بل يتعداها إلى المرافق التابعة لها كافة التي يمارس فيها الطلاب أنشطتهم الرياضية وغيرها.

إن نشر ثقافة السلامة بين طلاب المدارس الابتدائية والثانوية هو مشروع رائد ذو بعد اجتماعي ويحتاج إلى تضافر جهود جميع الجهات المعنية لاتخاذ خطوات وقائية لضمان أمن وسلامة المدارس، وهذه مسؤولية عامة تقع على كاهل الحكومات وعلى الإدارات المحلية كافة التي يفترض منها أن تحث عامة الشعب من مختلف شرائح المجتمع على الاهتمام بثقافة السلامة في المدارس الابتدائية والثانوية.

التربية في مجال الفن والجماليات (فلسفة الجمال)

6.26 مسوّغات إضافة التربية الجمالية

المحاور:

لماذا قررت السلطات المركزية إضافة تعليم فلسفة الجمال إلى سياستها؟

لي لانكينغ:

لا غنى عن التربية الجمالية بوصفها أحد عناصر بناء الشخصية المتكاملة، وصقل الجانب الفكري والإنساني للفرد، بما في ذلك تذوق الفن الرفيع بأشكاله كافة. وعموماً لا تزال تنمية هذا الجانب الإنساني قاصرة في بلادنا، ومن الضروري تغيير هذا الوضع بإضافة مادة الجماليات إلى المناهج، وتدريس الموسيقا والفنون في المدارس الابتدائية والثانوية وكذلك في مؤسسات التعليم العالي.

وكي ننمي قدرة الطلاب على استشعار الجمال وتقديره لا بد من نشر الثقافة خارج إطار المنهاج، ورعاية الأنشطة الثقافية التي لا يجوز تجاهل دورها في إعداد الأفراد لمواجهة القرن الحادي والعشرين.

لقد ظللنا مدة طويلة نعمل على إعداد وتنشئة أبنائنا تنشئة اشتراكية حقة على الصعيدين الفكري والأخلاقي وأهملنا الناحية الجمالية، لكنني كنت دوماً أشعر بأنها لم تكن مهملة بل كانت موجودة من حيث المبدأ في منهاج التربية الأخلاقية. إن العديد من المربين والأكاديميين وهؤلاء الذين يعملون في المجال الفني أشاروا إلى أن التربية الأخلاقية لا تشمل تنمية الأحاسيس الجمالية لدى الفرد مع عِلْمِهم بوجود ارتباط بين الاثنين؛ لذلك أرى ضرورة أن تقوم الحكومة بالإصرار على جَعْل الأمر مَحَلَّ اهتمامها وَرُوْح سياستها التعليمية.

يرى الكثيرون أن الجماليات ليست مجرد فنٍ بعينه أو صنعة يمكن أن يتعلمها الفرد وإنما تنمية المخيلة والإبداع؛ لذلك يجب أن نعمل على تأمين البيئة المناسبة التي تؤدي إلى تنمية القيم الجمالية لدى الفرد، وفي الوقت نفسه الاستمرار في تطوير سياستنا الاقتصادية والثقافية. ويجب أن نفتح متاحفنا ومراكزنا العلمية والأندية الثقافية والقاعات العامة والمراكز الثقافية الأخرى للطلاب بصورة مجانية. وعلى المدارس أن تشجع تشكيل فرق فنية ومسرحية وأن تَرْعَى الأنشطة الثقافية في المدارس. إن الدلائل التاريخية تشير إلى أن المدارس التي كانت تعتمد على التعليم في مجال الفنون وفلسفة الجمال كانت تخرّج طلاباً أكثر ديناميكية وإبداعاً واتزاناً وأكثر انفتاحاً وتحرراً.

إن الفنون التشكيلية والفنون العامة تنور العقل وتصقل شخصية المرء؛ لذلك من واجب الأكاديميين والفنانين أن يَسْعَوْا لنشر الثقافة في مختلف الميادين الفنية بدءاً من الموسيقا، بما في ذلك الموسيقا الكلاسيكية، وذلك عبر تنظيم حفلات وأمسيات موسيقية يحضرها الطلاب. وقد لمسنا رغبة قوية لدى الطلاب في المشاركة في البرامج الموسيقية والاستماع لمحاضرات في مختلف مجالات الفنون.

نحن لا نريد أن يبرع كل طلابنا في فن الرسم أو أن يكونوا مبدعين في المجالات الفنية الأخرى، ولكننا نأمل أن يتمتعوا بقدر كافٍ من ثقافة تمكنهم من تذوق الفنون الجميلة..

مثلاً: إنَّ التربية قبل دخول المدرسة في الفنون الجميلة. تُحفِّزُ الأطفال على تنمية قدراتهم الفنية في مرحلة مبكرة، خاصة في مجال الموسيقا والرقص. وأذكر أننا في طفولتنا كنا دوماً نتسلى بالرسم والتلوين، ولقد تَوَقَّفَتْ مقدراتنا عند الحد الذي توقفنا عنده في الصغر. وفي زيارة لي إلى الأكاديمية المركزية للفنون التشكيلية نبهت إلى أن رقي الأمم يتجلى في مدى عنايتها بتدريس الفنون وفي رفعة معارضها الفنية، وأن رسالة الأكاديمية تكمن في نشر وتدريس مادة الجماليات إلى جانب الفنون الأخرى، وتنمية القدرة على تذوق الفن لدى طلاب الجامعات.

هناك مذاهب عديدة في الفنون التشكيلية، ولكن بالنسبة لموضوع الجماليات فلدينا توجهان: الأول شرقي، والثاني غربي، ففي مجال الرسم أو التصوير يمثل الرسم الصيني التقليدي التوجه الشرقي ويمتاز بحيوية وإيقاع يتجليان في لوحات تمثل مناظر طبيعية بما في ذلك الزهور والطيور وذلك باستخدام الألوان المائية وأَحْبَارُ التلوين.

ولكي تثمر جهودنا في تعريف العالم بجمالية فن الرسم الصيني ينبغي أن نعنى عناية أكبر بتوضيح القواعد النظرية التي يقوم عليها هذا الفن، وهذا ينطبق على الطب التقليدي الصيني وعلم العقاقير الذي ينبغي أيضاً أن يدرس دراسة علمية مستفيضة.

نحن الصينيين غالباً ما نتعلم تقنية الرسم الغربي بسهولة بسبب توافر الوسائل التي تمكننا من تعلم هذه التقنية والنظريات التي تستند إليها. وإذا أردنا تعليم الغربيين تقنية الرسم الصيني فلا بد من استخدام قواعد نظرية وطرائق منهجية في تدريس هذا الفن كما هو الحال في معاهد الفنون الغربية.

إن التقدم العلمي والتكنولوجي والترابط المتزايد بين الفنون والعلوم يتطلب القيام بالمزيد من الأبحاث في هذا المجال، ولذلك أدعو إلى إنشاء كليات لتدريس الفنون في تلك الجامعات التي تدرس فيها عدة تخصصات، فالجو الثقافي المتنوع في مثل هذه الجامعات يشكل بيئة صالحة لتنمية التكامل المنشود بين العلوم والفنون. إن الإبداع في هذا المجال يتطلب أن يكون الفنان مستوعباً العلوم الإنسانية وكذلك العلوم الطبيعية دون أن يكون متخصصاً في هذا العلم أو ذاك.

في خطاب ألقاه تسونغ ـ داولي في ندوة لمناقشة العلاقة بين الفن والعلوم الطبيعية تبين للكثير من الفنانين الذين حضروا الندوة مدى العلاقة بين الفن من جهة والعلوم والتكنولوجيا من جهة أخرى. والجدير بالذكر أن (تشين نينغ يانغ) ألقى خطاباً حول الموضوع نفس في جامعة تسينهوا.

6.27 الترابط بين الفن والعلم

المحاور:

ما هي الخاصية التي اعتمد عليها التعليم في فلسفة الجمال والفن؟

لي لانكينغ:

دعني أولاً أروي لك هذه القصة، في عام 1995 قابلتُ وفداً من (هونغ كونغ) المكّون من استشاريين في مجال التعليم العالي، وهم دارسون ومقاولون مشهورون في (هونغ وكونغ) والعالم... وقد لفت انتباهي خطاب مندوب مجموعة HSBC الذي أشار إلى «أن مصرفه لا يوظف مختصين ماليين وخبراء في الاقتصاد وتكنولوجيا المعلومات فقط، وإنما يوظف أيضاً أفراداً درسوا الموسيقا والفن. وبالطبع لم تكن نيته تشكيل فرقة موسيقية، وإنما يوظفهم لامتلاكهم مخيّلة فنية وحساً جمالياً، أو لِنَقُلْ إحساساً فطرياً ويتم تدريبهم في مجال التمويل وحقول أخرى، ويصبحون بذلك ممولين ممتازين»، وكان خطابه مهماً جداً.

من أجل الاحتفال بيوم المعلم عام 2002 طلبنا من المعهد المركزي للموسيقا أن ينظم أمسية موسيقية. وقام وزير التعليم (تشين زهيلي) بدعوة تسعة رؤساء من رؤساء جامعات (بكين) إلى هذه الأمسية، وفي نهاية الحفل ألقيت الخطاب الآتي:

إن النظام التربوي الذي ينجب المبدعين يجب في نظري أن يركّز على العناصر الأساسية الآتية:

1- أفكار أطروحات تربوية جديدة.

2- تنمية مؤسسات وتنمية منهجيات.

3- بناء شخصية الفرد بجوانبها كافة ورفع مستوى التربية والتعليم من حيث النوعية، وهذا ليس بالأمر الهين ولكننا نستطيع تحقيقه إذا بذلنا جهداً كافياً.

هناك حقائق تشير إلى وجود علاقة متبادلة بين العلم والفن، والملاحظ أن الكثير من كبار العلماء والفنانين على دراية جيدة بالعلم والفن معاً، ولدينا أمثلة عديدة تؤكد ذلك. فمن المعروف أن **ليوناردو دافنشي** كان رساماً رائعاً ولكنه كان أيضاً عالماً بارزاً وعبقرياً فذاً سبق عصره، وكان ملماً إلماماً جيداً بالرياضيات والمكنيكا والبصريات، وله اكتشافات في مختلف فروع الفيزياء.

والجدير بالذكر في هذا السياق أنَّ مجموعة من المؤلفين الموسيقيين الروس الذين عاصروا **تشايكوفسكي** 1840 - 1893 كانوا موسيقيين بارزين، علماً أن جلّهم لم يدرس الموسيقا في مطلع شبابه. والذي نعرفه أن أحدهم كان عسكرياً وآخر محامياً، أما الموسيقار بورودين فقد مارس الطب واشتغل بالكيمياء وكان صديقاً لعالم الكيمياء الشهير **منديلييف** صاحب **الجدول الدوري للعناصر**.

ويمكن القول: إن ماجمع هؤلاء الأعلام هو شغفهم بالموسيقا واختيارهم التأليف الموسيقي مهنةً لهم، فكانت السمفونية الأولى لـ **بورودين** أول عمل موسيقي يلقى رواجاً خارج روسيا. ويمكن عدُّ **تشايكوفسكي وبورودين** رائدين في موسيقا السيمفونية الروسية. والشاهدة على قبره تحمل عناوين أعماله الموسيقية والصيغ الكيميائية التي درسها، وكل هذه الأمور كانت تكريماً له.

ومن المعروف أن الجيولوجي الصيني الشهير **لي سيجوانج** الذي دحض نظرية عدة علماء زعموا أنه يستحيل اكتشاف بنزول في الصين، لكن الصينَ استطاعت بفضل نظريتِهِ وجهودِ المنقبين عن النفطِ، من اكتشافِ عدة حقول من نفطٍ وغازٍ. لكن القليلين يعرفون أن هذا العالم الجيولوجي كان أول من ألّف مقطوعة موسيقية للعزف على الكمان سنة 1920. ويقال: إنّ ألبرت أينشتاين كان يعزف الكمان بمهارة.

لقد سمعتم جميعاً بـ **يوان لونفبنغ** الحائز على أرفع جائزة في العلوم والتكنولوجيا، ولكن الذي لا تعرفونه هو أن هذا الرجل الذي يشبه وجهه وجه الفلاح الكادح، كان يجيد العزف على الكمان.

إن جل الحاضرين في هذا الحفل ينتمي إلى جامعات خاصة بالعلوم والتكنولوجيا، ولقد دعوناكم إلى هذا الحفل الموسيقي آملين أن تسهم مثل هذه المناسبات أولاً: في تنمية التواصل بين الفنون -لا سيما الموسيقا- والحقول العلمية الأخرى، وثانياً: في تشجيع التعاون بين الجامعات في تربية أجيال مثقفة. ولا شك أن الكثيرين من طلابنا يمتلكون مواهب علمية وفنية، وأنا شخصياً لست عالماً ولكنني مقتنع أن العاملين في مختلف المجالات العلمية وغيرها بحاجة إلى تلك الصفات التي تميز الفنان المبدع، لا سيما الرؤية والمثابرة.

إننا جميعاً مدعوون إلى شحذ همم الطلاب وغرس روح المثابرة في نفوسهم، وفي اعتقادي إنّ ممارسة أي فن يتطلب امتلاك موهبة ما لكن هذه الموهبة لن يكتب لها الحياة إذا لم تقترن بالجهد المطلوب والعمل الدؤوب، وهذا ما يجب أن يعيه طلابنا ومعلمونا.

والآن أوجه كلامي إلى جوجين الذي أتحفنا بأدائه الرائع لمقطوعة تشايكوفسكي، وهنا يحضرني فيلم سينمائي يطلب فيه تشايكوفسكي من عازف البيانو الشهير آرثر روبنشتاين أن يعزف هذه المقطوعة فاعتذر روبنشتاين قائلاً: «إنها مقطوعة صعبة ولا أعرف كيف سأتمكن من عزفها». وبقي أن أشير إلى أن هذه المقطوعة (بيانو كونشرتو رقم 1) أصبحت من الأعمال الموسيقية الخالدة.

إن الشبان الثلاثة الذين استمتعنا بعزفهم اليوم قد حصلوا على جوائز في مسابقة دولية وهذا في حد ذاته إنجاز لم يسبق له مثيل في تاريخ معهد الموسيقا العالي. وإننا نهنئ المعهد العالي على هذا الإنجاز، ونأمل في الوقت نفسه أن تكثف الجامعات جهودها في رعاية الفنون وأن تتعاون في هذا المجال من أجل تخريج أجيال مثقفة ومهيأة للإبداع في شتى الميادين والإسهام في تحقيق النهضة القومية التي ننشدها.

6.28 إعادة إحياء تدريس الموسيقا والفنون الجميلة وفن الخط في المدارس الابتدائية والثانوية.

المحاور:

لقد شَدَّدْتُ على ضرورة تدريس مواد الموسيقا والفنون الجميلة والخط في المدارس الابتدائية والثانوية، واليوم نشهد تقدماً يبشر بالخير، فهل حصل ذلك نتيجة تلك الجهود؟

لي لانكينغ:

إن هذه المواد بالرغم من أهميتها لا تفي بالحاجة، لقد بقينا ردحاً من الزمن لا نكترث بموضوع الجماليات؛ فلذا أقدمت عدة مدارس على إلغاء هذه المواد؛ أي الموسيقا والخط والفنون الأخرى، وعندما سألتهم عن السبب، كانت المسوّغات عدم توافر المعلمين، وهذا سبب وجيه، ولكنني أعتقد أن المشكلة ترتبط برؤيتهم للمسألة فقد عدّوا أن مادة الجماليات أقل أهمية من الرياضيات والفيزياء أو الكيمياء.

وأذكر أنني حضرت درس الموسيقا في إحدى الثانويات في (هانغ زهو) وكان موضوع الدرس «الموسيقا السيمفونية» وألقى المحاضرة معلم مستعيناً بشاشة فيديو ضخمة وشاهدت الطلاب يصغون باهتمام كبير.. وفي أثناء استماعي أستطيع القول: إن أداء المدرس كان لا بأس به. وفي زيارة أخرى لإحدى المدارس في الريف، ذُهِلْتُ عندما وجدت أكثر من مئة طالب يستطيع العزف على الـ «ايوهو» أو الكمان الصيني التقليدي.

ويبدو أنهم اكتسبوا هذه المهارة بفضل مدرسهم الذي يتقن العزف على هذه الآلة الموسيقية. وفي أثناء زيارة أخرى إلى مدرسة ابتدائية في (كزي هايغو) – نيغزيا شَاهَدْتُ مدرساً يعزف على الأورغ مستخدماً إياه لتلقين طلابه كيفية إنشاد أغنية معينة. وكان التلاميذ متجاوبين معه إلى حد بعيد.

والحق يقال: إنّ هذا المشهد كان له أبلغ الأثر في نفسي وفي نفس وزير التعليم (نشين زهيلي) الذي كان يرافقني في هذه الزيارة، وقد عمد على الفور إلى شراء أورغ إلكتروني وأهداه لتلك المدرسة.

المؤلف يتبادل التهاني بالعام الجديد مع الخبيرين في Shanghai Bell السيد موريل وعقيلته في قاعة الشعب الكبرى في بكين 25 كانون الثاني / يناير، 1998

لقد شرعت جل المدارس في إعادة إحياء دروس الموسيقا والفنون الجميلة، غير أن بعض المدارس لا تزال تهمل هذا الجانب، ولا تعيره القدر الكافي من الاهتمام الذي يستحقه، ولذا يجب عليها أن تنتبه لهذا الأمر.

6.29 لندع الشباب يتذوقون الأغاني

المحاور:

إنك من الداعين إلى إحياء الأغاني الشعبية والأغاني الفنية، فماذا تقصد بعبارة الأغاني الفنية؟

لي لانكينغ:

إن الموسيقا غذاءٌ روحي لا غنى عنه، ولا يمكن تصور الحياة من دون الموسيقا. فيما مضى، كان عامة الناس يترنمّون وهم يؤدون عملهم أما اليوم فإن موسيقا «البوب» أكثرُ

شيوعاً بين الطلاب، ومن الطبيعي أن تتطور وتتغير الأذواق مثلما تتغير الأزياء، ولكن لا يمكننا أن نتصور عالماً لا مكان فيه لموسيقا (البوب).

وقناعتي أن الموسيقا ستزدهر إذا تركنا مئات الأزهار تتفتح في آن واحد؛ بمعنى أن نُطَوِّرَ الأغاني الفنية والأغاني الشعبية في وقت واحد، فالواقع يثبت أن الأغاني الرائعة تؤدي دوراً مهماً في تثقيف الجماهير من حيث إنها تثير فيهم أحاسيس سامية وترفع معنوياتهم، وتطوّر تفكيرهم الإبداعي. وليس بالأمر السهل جعل الجماهير يتذوقون الأعمال الغنائية دون معرفة أو إلمام بمبادئ الموسيقا ومدى فعالية الأغنية لجعل الناس يقدّرونها إضافة إلى الدعاية والإعلان الضروري.

كان للأغاني الفنية تأثير إيجابي على التطور التاريخي في الصين وفي بعض بلاد العالم. فقد بدأت الأغاني الفنية بالظهور في بداية الحقبة الرومانسية في ألمانيا في أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر. ويعد **فرانز بينزشوبرت** (1979 - 1828) أبا الأغنيةِ الفنيةِ الألمانيةِ. واستطاع بمفرده الارتقاء بفن الأغنية إلى أعلى المراتب. وقد ألف 600 أغنية في أثناء حياته، وأدخل المزيد من العاطفة والدراما في الأغنية الفنية أكثر من أي شخص آخر وله مؤلفات نالت شهرة واسعة في حينها وما زالت تطرب الجماهير حتى يومنا هذا. وتبع شوبرت موسيقيين كبار منهم (روبرت شومان 1810 - 1856) و(ميندلسون ـ بارتولدي 1847-1897) و(جوهانس برامز 1897 - 1833) و(هوغو وولف 1903-1860) وجميعهم تَرَكُوا بصماتهم على الأغنية الفنية.

جلّ الأغاني الرومانسية الروسية التي ما زالت شعبية حتى الآن يمكن تصنيفها في عداد الأغاني الفنية. ومنها: «أذكر اللحظات الرائعة» المستقاة من قصيدة للشاعر ألكسندر بوشكين إلى كيرن، و«العندليب والزهرة» لريمكسي كورساكوف (1844-1908)، و«أغنية البرغوث»، و«التهويدة» لـ موسورغسكي (1839-1881) و(آه، توقف غناتاي) و(في الليلة الصامتة) لـ رخمانينوف (1873-1943) وجميع هذه المقطوعات الغنائية مفعمة بالحيوية، وهناك أنشودات أخرى رائعة أسهمت في رفع معنويات الشعب السوفييتي في أثناء مقاومة النازيين الألمان. إن أغنية «ليلة في ضاحية موسكو» التي من كلمات م. ماتوسوفسكي، والتي

لحنها دبل يو. سولوفيوف – سيدوي في الخمسينيات لِتُعَدّ واحدةً من أبرز الأغاني الفنية التي ما زالت تحظى بشعبية حتى اليوم.

كانت جل الأغاني الصينية الشائعة قبل قيام حركة 14 أيار 1919 أغاني طلابية اُقْتُبِسَ لحنها من الموسيقا الغربية، مثل «الوداع» التي لحنها **لي شوتونغ** باقتباسٍ من لحنٍ أمريكي. وبعد حركة 14 أيار برزت مجموعة من الشعراء الذين مهدوا للموسيقا الصينية الحديثة، وتركوا لنا إرثاً غنياً من المؤلفات الغنائية الجميلة. مثل أغنية «السؤال» الذي كتبها كزيار يومي ولحنها ميمس دين هاي، وأغنية «**كيف لا أفتقده**» التي كتبها زهاو يوانرين ولحنها ليوبانونغ، وأغنية «بائعو الأقمشة» التي تُعَدُّ أغنية فولكلورية لحنها ليوداباي، وأغنية «**ثلاث أمنيات للوردة**» التي كتبها هوانغ ري ولحنها **لونغ اكي**، وأغنية «**رابسودي يصعد الدرج**» التي لحنها **سودونغ بو**: وأغنية «**شعر الفاصولياء الحمراء**» التي كتبها **ليوكزوان** ولحنها **كاوكسيوكين**، وأغنية «**السور العظيم**» الشعبية التي لحنها **بان جينونغ** في أثناء حرب المقاومة ضد اليابان ولقد كانت الأغاني الفنية تدعو الشعب إلى الوقوف ضد الاحتلال مثل «**قصيدة النهر الأصفر**» التي من شعر «**كزيان كزينغ هاي**» ومن لحن **غوانغ ديدان**، وأغنية «**على نهر جيالينغ**» التي من شعر **دوانمو هونغ ليانغ**، ولحن **هي لودينغ** وأغنية «**الحنين إلى الوطن**» للشاعر **كزياز هيكيو** التي هي من ألحان **داي تياندو**، وأغنية «**أرض الوطن**» التي كتبها لو هاربو ولحنها **زهانغ فان**.

كان لهذه الأغاني أثر بالغ في بعث روح البطولة والمقاومة العنيدة في مواجهة العدو الأجنبي. ولم يكن هناك فردٌ واحدٌ من الذين غنوا مع المنشدين لم يغنِّ –في أثناء الحرب– «أرض الوطن» أو «بطولة المحارب» أو «على ضفاف نهر سوانغ هوا» التي هي أغنية حماسية عن الحياة في المنفى لـ (زهانغ هان هوي) والتي عبرت عن خواطر سكان شمال شرق الصين. ولكن بعد ولادة الصين الجديدة لم يوجد إلا قلة قليلة من الملحنين ومؤلفي الأغاني والمترجمين الذين قدموا مجموعة من الأغاني الفنية الراقية التي تستحق الاحترام.

عندما بدأنا بالترويج للأغاني الفنية منذ بضع سنين استجاب الجمهور، وعندما سمعها طلاب الجامعات أبدوا إعجابهم قائلين: «لم نكن نعلم بوجود أغانٍ بهذا الجمال والروعة»، الأمر الذي شجع الجامعات والمدارس الابتدائية والثانوية على إقامة حفلات غنائية

ومسابقات حَضَرْتُ بعضها، وأذكر أن الأداء كان جيداً، لذلك لا يمكن القول: إن موسيقا «البوب» هي السائدة اليوم. وأياً يكن الأمر لا ندعي أننا بذلنا جهداً كافياً لترويج الأغاني الفنية والتراثية بين الشباب.

6.30 تحول الأغاني الفنية إلى فن المناصرين

المحاور:

ما هي المشكلات في رأيك التي تعترض تحفيز الطلاب على تذوق الأغاني الفنية؟

لي لانكينغ:

إن المشكلة الكبرى تكمن في عدم إدراكنا لأهمية هذا الموضوع وعدم إدراكنا لأهميته يدفعنا إلى التقليل من شأنه. لقد وضعت الكتب الدراسية الكلاسيكية في الغرب قواعدَ محددة للأغاني الفنية، فمثلاً يجب أن يكون المرء قادراً على تَلْحِيْنِ القصيدة الغنائية بصوته، وعليه أن يغنيها بمرافقة البيانو فقط داخل قاعة في الهواء الطلق. لا شك أن هذه القيود تعيق عملية الترويج لهذا الفن.

فعلى سبيل المثال: إنّ للأغاني الروسية جمهورها محلياً وعالمياً وجل هذه الأغاني كلاسيكية، ولكنّ الملحنين الروس تفادوا الوقوع في شرك القواعد التقليدية. إن الجماهير تستمتع بالغناء والاستماع إلى هذه الأغاني بسبب ألحانها الرقيقة، ومعانيها العميقة والنشوة التي تثيرها في النفس، وإنَّ الذي نلاحظه أن المغنين والموسيقيين المعاصرين لم يعودوا يتقيدون بالقواعد المألوفة، فبعض المغنين يُؤَدُّون بالغناء في الساحات العامة، وأحياناً مع مطربي (البوب).

وأمَّا نحن فيجب علينا أن نواكب العصر بأن نعمل على نشر الأغنية الفنية بين الجمهور ولا يجوز أن نحولها إلى فن يستهوي النخبة أو شريحة صغيرة من المجتمع. ويمكن أن نبدأ بعرض نماذج من الأعمال الغنائية في حفلات موسيقية، كذلك يمكن أن نطور بعض أغاني (البوب) بحيث تنسجم مع أنغامِ الأغاني الفنية بحيث تصلح لأدائها على المسرح. على أي حال لا يمكننا أن نعود دائماً إلى أغاني الماضي، بل يجب أن نركز على تأليف وتلحين

أغنيات جديدة تطرب لها الجماهير وتتفاعل معها - هذا من جهة، ومن جهة أخرى يجب أن نعنى بتهذيب الحس الفني لدى الجماهير؛ وذلك من خلال إقامة حفلات موسيقية لسماع مجموعة من الأعمال الغنائية المتميزة من الوجهة الفنية والتقنية؛ وذلك لتنمية قدرة العامة على تذوق الفن الرفيع ومن ثم إثراء الثقافة الجماهيرية.

ثمة صنفان من الأغاني الفنية: الصنف الذي تطرب له الأذن ويسهل أداؤه، والصنف الآخر الذي تطرب له الأذن ولكنه صعب الأداء.

إن القضية تكمن في العلاقة بين الترويج والتجديد. إن الإبداع في مجال تأليف وتلحين الأغاني متعدد الأبعاد، فالأغنية يمكن أن تتناول عدة موضوعات، ولكن الجماهير تريد الاستماع إلى أغاني تعكس الواقع المعيش لا أن تستمع إلى أغانٍ تنطوي على معانٍ عميقة أو فلسفية، وهذه حقيقة يجب جعلها في الحسبان.

والحق يقال: إن وزارتي الثقافة والتعليم استجابتا سريعاً لاقتراحي، فَنَشَرَتْ الأغاني الفنية بين الشباب، ووضعت مسوَّدة خطة لتطبيق مقترحاتي في هذا الشأن، وقد سررت لذلك وكتبت رسالة إلى المسؤولين في الوزارتين بتاريخ 17 آذار/مارس/1999»، هذا نصها: «لقد علمت بأنكم بصدد الإعداد لمهرجان غنائي على المستوى القومي، إني أدعم وأؤيد هذه الخطوة، وأعدها الأولى من نوعها؛ ولذلك يجب أن يكون الإعداد جيداً وأن يتم اختيار الأغاني بعناية، ولكي يكون الأداء متميزاً والاختيار موفقاً أرجو أن تأخذوا في الحسبان النقاط الآتية:

أولاً: «تأكدوا من حسن الأداء الذي يجب أن يثير أشجان المستمعين، وكذلك يجب أن يُحْرَصَ على إعادة إحياء بعض الأغنيات الصينية المغمورة.

ثانياً: لكي يحقق الأداء الغاية المرجوة يجب أن تكون الأعمال الغنائية المختارة متنوّعة، من حيث اللحن والموضوع بحيث يطلب الجمهور سماع المزيد منها. ومن المجدي أن تكون كلمات الأغنيات مألوفة وبسيطة وخاصة في هذه المرحلة تمهيداً لتقديم أعمال غنائية أكثر إتقاناً. وأرى أن يتم اختيار الأغاني من الحقبة الممتدة من عام 1900، إلى يومنا الحاضر،

شريطة أن تكون جلّ الأعمال الغنائية صينية ولا بأس من إدراج بعض روائع الفن الغنائي الأجنبي، ولكم أن تختاروا بعض أغاني (البوب) المميزة مثل «أشواق» من كلمات كياو أو وألحان غو جيانغين، ويمكن إعادة تلحين هذه الأغاني بتوزيع جديد.

ويفضل أن تكون الحفلة الأولى على غرار الحفلات الموسيقية التي يعزف فيها عدد من الموسيقيين مقطوعات تقليدية في صالات خاصة، وهنا ألفت النظر إلى ضرورة تأمين الجو الملائم من ناحية إعداد المسرح، واستخدام تقنيات توزيع الصوت والإضاءة. ومن وجهة أخرى ينبغي تسخير وسائط الإعلام للترويج لمثل هذه الأنشطة عن طريق محطات الإذاعة والتلفزة والصحف.

وأخيراً أود الإشارة إلى الأهمية القصوى لاختيار العنوان الملائم للحفلة الموسيقية لإثارة رغبة العامة لحضور الحفل، فعلى سبيل المثال: يمكن أن يكون عنوان الحفلة «مختارات من روائع **الأوبرا الإيطالية**» وعلى أي حال أترك لكم حرية اختيار العنوان المناسب، واليوم أستطيع أن أقول: إنّ مثل هذه الحفلات قد أدت دوراً إيجابياً في نشر الأغاني الفنية في الأوساط الجامعية وبين الجمهور.

6.31 تدريس مادة الموسيقا في الصين

المحاور:

لقد أخبرتنا عن الأغاني الفنية وأهمية انتشارها إلى جانب الموسيقا الصينية التقليدية بين الشباب، فماهي الفروق بين الأغنية التقليدية الصينية والأغنية الفنية؟ وما هي وجهات نظرك في زيادة الاهتمام بالموسيقا الوطنية وتعليم الموسيقا؟

لي لانكينغ:

لست خبيراً في مجال الموسيقا، لكن في اعتقادي أن الأغاني الفنية والأغاني الفولكلورية تندرجان تحت لواء الأدب. فالأغاني (التقليدية) الفولكلورية ظاهرة عامة في الموسيقا الصينية، وتحظى بشعبية واسعة. والواقع أن أول ما يتبادر إلى الذهن عندما نتحدث عن

الأغنية الصينية هو تراث الغناء الشعبي، والواقع أن الغناء التراثي أو الشعبي لم يعد اليوم مرتبطاً بمناطق معينة أو مجموعة عرقية بل يمكن اعتباره ضرباً من ضروب الأدب الغنائي، وقد تأثر هذا الأدب بالموسيقا والغناء الغربي وكذلك بالتراث الغنائي للأقليات في بلادنا، والفضل يعود إلى مجموعة من الملحنين في إضافة صفة معينة إلى الأغاني الصينية تميزها عن الأغاني اليابانية أو الغربية. ولكن المشكلة اليوم هي أن هذه الأغاني -مع أننا قد نطرب عند سماعها إلا أنها- ليست سهلة الحفظ والترنّم. إنَّ لدينا أغانٍ لا تعد ولا تحصى ولكن القليل منها متداول بين الناس.

إن الجو الثقافي في الجامعات لم يعد كما كان في السابق. فبالإضافة إلى الأغاني نلاحظ تزايد اهتمام المعلمين والطلاب بفنون أخرى مثل: الباليه والأوبرا والموسيقا الصينية الكلاسيكية والرقص الشعبي، وأوبرا بكين. وقد أخذت موسيقانا تجد طريقها إلى بلدان أجنبية مثل النمسا؛ حيث تم عرض أحد الأعمال في القاعة الذهبية في (الموسيكفرين) في فيينا للمشاهدين النمساويين، ولم يعد من غير المألوف أن تفوز فرقنا الموسيقية بجوائز تقديرية في المنافسات الدولية حين تقدم الأغاني الصينية على أنغام الموسيقا الكلاسيكية الصينية. لقد ارتقت الموسيقا الصينية الكلاسيكية إلى مصاف الموسيقا السيمفونية، وبدأت تظهر ملامح موسيقانا الكلاسيكية، وهي ذات خاصية في أنغامها وجمالياتها، وأنا شخصياً معجب جداً بكونشرتو الكمان في «عشاق الفراشة» من تأليف وتلحين هي جان هاو وتشين غانغ. وهنالك أيضاً المعزوفات الفردية مثل «القمر في سماء ليلة ربيعية» و «أمسية سعيدة» و «كمين في ثمانية اتجاهات».

إننا نمتلك إرثاً ثقافياً ثميناً نستطيع أن ننهل منه في إعادة إحياء الأعمال الغنائية والموسيقية لمؤلفينا القدامى وتعريف الجيل الشاب بهم. ولنتذكر أن الموسيقا الكلاسيكية الصينية تتضمن أيضاً الأوبرا التقليدية.

إن مصادرنا في الأوبرا التقليدية غنية ومتنوعة، ويجب أن تستمر أوبرا بكين التي تمثل جوهر الثقافة الصينية وعمقها. ويجب تحفيز الجيل الجديد على تذوق هذه الأوبرا عبر إثارة اهتمامهم.. ومما يثلج الصدر أن الأوبرا أصبحت تستهوي العديد من شبابنا، وهناك

العديد من الروائع الفنية في الأوبرا المحلية لكنها تحتاج دائماً إلى التطوير والتحديث. خلاصة القول: إنّ جيلنا الشاب يجب أن ينمي ثقافته الموسيقية التي تمثل ركناً مهماً من أركان بناء الشخصية وتربية الروح الوطنية، بالإضافة إلى أثر ذلك في تنمية التعاون والتبادل الثقافي بين الصين والأمم الأخرى.

تمثل الموسيقا الشعبية جزءاً مهماً من الثقافة الصينية التقليدية ودرة من درر إرثنا الثقافي. وقد كشفت الحفريات عن مزمارٍ عظمي استخدم منذ نحو 9000 عام في ولاية (وويانغ) في جباهورهينان ويمكن أن تُعْزَفَ على هذا المزمار خمس نوتات بدقة، واكتشف أيضاً عشرين مزماراً: خمسة منها ما زالت صالحة للاستعمال حتى هذا اليوم، وهذا دليل على أن الشعوب التي سكنت المنطقة في العصر النيوليتي كانت قد بلغت مرحلة متقدمة من الرقي والحضارة في هذه البقعة من العالم، ولعل ابتكاراتهم الموسيقية كانت بداية الحضارة الثقافية في الشرق.

وقد ورد ذكر «موسيقا» على لوحة حجرية عمرها 3000 عام ممثلاً بخيط حرير مشدود إلى إطار خشبي، ويعتقد أنها آلة موسيقية كانت تستعمل في ذلك الوقت.

ثمة قصيدة في كتاب الأغاني المؤلفِ من مجموعات من الأغاني الشعبية التي يعود عهدها إلى 2500 عام، وقد وردت في هذه القصيدة عبارة: «لعل العود وأوتاره يسحرك» وكلمة: «عود» ما زالت متداولة حتى اليوم ففي عام 1978 تم نبش مجموعة أجراس قديمة من قبر (ماركوس سس) - وهو أحد النبلاء- مكونة من الزنك وتعود إلى عصر غابر في مقاطعة (سويكزيان)، وتتألف هذه المجموعة من أربعة وستين جرساً برونزياً، ولكل جرس نغمة وفق السلم الموسيقي، مما يدل على مهارة مدهشة ودقة في الصنع، وأعقب ذلك اكتشاف عدة أجراس مشابهة في قبور أثرية أخرى.

يذكر التاريخ أن أحد النبلاء من سلالة (مينغ) اعتكف وتفرغ لدراسة الموسيقا في عام1581م، وربما كان أول رجل في العالم يخرج بسلم موسيقي مقسم إلى اثني عشر صنفاً من النغمات متساوية المدى، وقد تطورت الموسيقا الصينية مع تطور المجتمع على مدى 2000 عام، ولم يتوقف في أثناءها التواصل الثقافي والحضاري بين الصين والأمم الأخرى، وقد كانت ثمرته

ثقافة مذهلة، ومن جملتها ازدهار الموسيقا حيث إن بعض الآلات الموسيقية ما زالت تستخدم حتى يومنا هذا، منها على سبيل المثال: (hagin)، أي الكمان ذو الوترين و(pipa) وهي آلة مزخرفة ذات أربعة أوتار و (suana) وهي آلة نفخ ذات سبعة ثقوب أمامية وثقب إضافي تحت الثقب الأول، ولا تزال هذه الآلة تستخدم في شرقي البلاد. ثم إن موسيقا الأقليات القومية وموسيقا شعب (الهان) أصبحت جزءاً لا يتجزأ من موسيقانا الوطنية وتراثنا القومي.

إن الموسيقا عنصر مهم في التبادل الثقافي بين الأمم، وقد وجدت الموسيقا الصينية طريقها منذ زمن بعيد إلى اليابان وبلدان مجاورة أخرى، وأثرت مباشرة في تطوير موسيقاهم المحلية. وفي الوقت الحاضر بدأت تظهر الموسيقا الصينية في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا وأصبحت بذلك رمز الصين. ومن جهة أخرى كان للموسيقا الكلاسيكية بصمة مهمة في بناء الثقافة الاجتماعية الصينية؛ لأنها تعكس تطلّعات وحاجات الشعب، وهي رفيق روحي لا يمكن الاستغناء عنه.

إن لكل قومية من القوميات الست والخمسين التي تشكل الصين خصوصيتها وشَعْبِيَّتِها من الغناء والرقص، وتشكل خلفية رائعة لتعليم الفن.

في أثناء نصف قرن بعد تأسيس الصين الجديدة، كَوَّنَّا عدة فرق من المنشدين، عاليةُ المستوى في مجال الموسيقا الكلاسيكية، وظهر عدد كبير من الموسيقيين المتميزين سواء كانوا عازفين مثل (ليومينغ يوان)، و(ليو ديهاي)، و(مين هيونين)، أو مؤلفين أو ملحنين مثل: (بينغ كزوين) وهو ملحن وقائد أوركسترا وعدة فنانين موهوبين من الشباب الذين سطع نجمهم، وأسهموا في تجديد وتطوير وإثراء الموسيقا الوطنية.

لقد خطت الموسيقا الصينية خطوات كبيرة في مجال التطوير والتحديث، بحيث أصبحت الأعمال التقليدية من الكلاسيكيات الشعبية. ومن الأعمال التي أَطْرَبُ لها: أغنية «الجبال العالية»، و«الأنهار الجارية»، و«الإيقاعات الثلاثة لبراعم الأجاص»، و«الغيوم والمياه في جاوجيانغ» و«أغنية عبور يانغ غوان» و«الأزهار ضوء القمر في نهر الربيع» و«ضوء القمر في الربيع الثاني تحت السماء» و«كمين في ثمانية اتجاهات»، و«مئة طير يعلنون الولاء

لطائر الفينيق» و«اليوبيل» و«أبطال جبل لانغيا الخمسة» و«البطتان الصغيرتان في المراعي»، و«أغنية الصياد في بحر الصين الشرقي»، و«أغاني الراعية الجديدة» و«برج سوزهو» و«ليلة مقمرة على بحيرة الخريف» و«موسيقا الرقص عند شعب الياو» و«رقصة الأفعى الذهبية».

ونشهد اليوم محاولات ناجحة لتطوير موسيقانا القومية بإضافة عناصر من الموسيقا الغربية، وهناك أبحاث نظرية جارية في هذا المجال بالإضافة إلى المؤلفات الأكاديمية في هذا الشأن، وتحققت إنجازات مميزة في تطوير الآلات الموسيقية الصينية الكلاسيكية لتحسين وتنويع الإيقاع واللحن، وكذلك تقنية الأداء مما أسهم في رفع مستوى أداء الأوركسترا الصينية.

بعد تشكيل الهيئة التدريسية الموسيقية في المعهد المركزي للموسيقا عام 1956 وضعنا برنامجاً علمياً لتدريس الموسيقا الوطنية. وهنا من الواجب أن أعبر عن عمق تقديري لما أنجزه المعهد المركزي للموسيقا في بكين، وكذلك معهد شنغهاي ونيانجين وكزيان، والجدير بالذكر أن عدداً من المطربين البارزين والموسيقيين التقليديين، والمؤلفين والملحنين الذين يعملون في مجال الموسيقا الصينية المعاصرة هم من خريجي من تلك المعاهد، وبعضهم يمارس نشاطه في بلدان أخرى حول العالم.

وهناك معاهد موسيقية أخرى مثل المعهد العالي للموسيقا الخاص بتدريس الموسيقا الصينية، بالإضافة إلى أقسام جامعية لتدريس الموسيقا في أنحاء الوطن، والفضل في ذلك يعود إلى عقود من العمل الدؤوب لبناء نظام لتدريس الموسيقا الصينية يَتَكَوَّنُ من اختصاصين ومدرسين أكفاء، ويعود الفضل أيضاً برنامج متكامل لتعليم الموسيقا يربط المدارس الابتدائية والثانوية والجامعات ومدارس الدراسات العليا بشبكة معلومات ضخمة تجمع بين التعليم الأساسي والتدريب الاختصاصي، ومن ثم تسهم في إعداد جيل من المثقفين.

ومن المهم أن تَتَطَوَّر طرق ووسائل تدريس الموسيقا، والأهم دعم وتشجيع الجيل الصاعد في هذا الميدان لصيانة إرثنا الثقافي الرائع.

6.32 «أغنية لا تنسى» الفيلم الذي أثار ضجة بين طلبة الجامعات

المحاور:

نعلم أنك تسعى منذ عام 1997 إلى نشر الموسيقا السيمفونية بين طلاب الجامعات، وأقمت المنتديات لدفعهم إلى تذّوقها، والذي نعرفه عنك أنك حثثت طلاب الجامعات علناً على مشاهدة أفلام معينة مثل: «مدام كوري» و«أغنية لا تنسى»، فما الذي دفعك لفعل هذا؟

لي لانكينغ:

أولاً: «أغنية لا تنسى» فيلم سينمائي مهم أنتج عام 1945، يتحدث عن شوبان عازف البيانو البولندي ذي الصيت الذائع، وبالرغم من أن الفيلم لا يستند كلياً إلى الواقع إلا أنه يبرز شوبان بوصفه مؤلفاً صينياً متعلقاً بوطنه ويظهر الفيلم المعاني العميقة التي تنطوي عليها أعماله الموسيقية. لقد كان شوبان معروفاً بحبه لوطنه الأم إضافة إلى كونه موسيقاراً مبدعاً، علماً أنه عاش في الغربة وتوفي في باريس، ولم ينسَ لحظة وطنه الأم الذي كان حينها يرزح تحت وطأة الاحتلال والإذلال، وقد طلب قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة أن يؤخذ قلبه ليدفن في بولندا. وفي أثناء زيارتي إلى بولندا عرفت أن قلبه مدفون في إحدى الكنائس هناك.

إن تذوق وتقدير هذا النوع من الأعمال الموسيقية يسهم في إثارة اهتمام طلبة الجامعات بهذا الفن الرفيع ومضمونه الإنساني العميق. والحق يقال: إن الكثيرين من الطلاب قد أجابوا دعوتي لمشاهدة تلك الأفلام. والجدير بالذكر أن طلاب جامعة سوجو نشروا كتاباً يحتوي على أكثر من 3000 مقالة حول مشاعرهم وانطباعاتهم عن الأفلام التي شاهدوها، وقد قرأت هذا الكتاب وأعجبت به.

علينا نحن المفكرين الصينيين أن نتحلى بالوطنية ونكرس جهودنا لما فيه خير الوطن في كل من العلوم والفنون؛ لكي نكون مهيئين لمواجهة القرن الحادي والعشرين.

قد يتساءل بعضهم لماذا يتعين على طلاب جامعاتنا أن يظلوا على تواصل مع روائع الموسيقا العالمية؟ أعتقد أن كل ما فعلناه لم يكن مخططاً له بقدر ما كان حتمياً؛ لأن المجتمع

كان يفتقر إلى الثقافة والقدرة على تذوق الفنون الرفيعة. ونشر الوعي الثقافي لا يتحقق بالخطابات وإنما بالانطلاق من المعطيات. ففي السابق لم تكن هذه المعطيات مشجعة؛ إذ لم يكن هناك سوق للفنون الراقية مثل: السيمفونيات والباليه والأوبرا الغربية ... إلخ. كان القليل من الناس يكترث لمثل هذه الفنون، ثم إن جلّ الطلاب كان يفتقر إلى الثقافة الموسيقية والقواعد النظرية التي يقوم عليها علم الموسيقا، ومن ثم غير قادر على تذوق الفن. وقناعتي أن المفكرين والمثقفين الصينيين يجب أن يكونوا ملمين ببعض هذه الفنون، وإلا فلن يكونوا ناضجين فكرياً.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: هل يوجد تَسْوِيقٌ للموسيقا السيمفونية والفنون الراقية؟ فالذين كانوا يعشقون الموسيقا والسيمفونيات والفنون الكلاسيكية من الجيل الماضي قد أصبحوا قِلَّة. ولكي نروج للموسيقا السيمفونية ينبغي بادئ ذي بدء ترغيب الجمهور في بتذوقها، ولكن كيف يمكننا إثارة تلك الرغبة؟

أعتقد أن الرغبة موجودة لدى طلاب الجامعات الذين لم يتلقوا دروساً في الموسيقا في أثناء مدة تعليمهم الأساسي؛ لذلك يجب أن نقيم دورات تثقيفية. وهذا يذكرني بحادثتين حدثت الأولى في أثناء إقامتي في (تيانجين) عام 1985، عندما دعوت إلى إقامة حفلات للموسيقا السيمفونية على المسرح ويومها سألني بعض أعضاء الأوركسترا السيمفونية المحلية: «هل سيحضر الناس هذه الحفلات؟» فقلت: «هناك عدة جامعات في تيانجين فإن لم يرغب الناس في الحضور سيحضرها الأساتذة على الأقل»، وتم تخصيص أيام الأحد لإقامة هذه الحفلات، وكما توقعت كان النجاح باهراً إذْ حضرها الكثيرون وكان قائد الأوركسترا يومها (تان ليهوا)، وهو الآن قائدٌ مرموق للأوركسترا في بكين.

أما فيما يخص الخطوة الثانية، وهي تطوير الموسيقا السيمفونية، فمن المفيد أن نتذكر أن الأوربيين كانوا ينظرون في الماضي إلى الولايات المتحدة بوصفها بلداً متخلفاً ثقافياً، وخاصة في مجال الموسيقا الكلاسيكية أما الآن فقد تغير الوضع، وأصبحت الولايات المتحدة من البلدان المتقدمة في هذا المجال .

فعلى سبيل المثال تُعَدُّ مدرسة (جوليارد) معهداً مرموقاً لتخريج الموسيقيين، فضلاً عن أوركسترا فيلادلفيا وبوسطن وشيكاغو، ولم يكن ذلك ليتحقق لولا العمل الدؤوب الذي

يسعى لتعريف الجماهير الموسيقا السيمفونية. وخير مثال على ذلك: ليونارد برنشتاين (1918-1990)، قائد الأوركسترا الأمريكي البارز والملحن الذي نذر حياته لنشر الموسيقا السيمفونية بين الأطفال، وقد شاهدنا عروضه المؤثرة على شرائط الفيديو مما دفعني إلى تخصيص دورات تعليمية لتعريف طلاب الجامعات بروائع الموسيقا العالمية. ويقيني أنه ستكون لديهم الرغبة في تذوق المزيد من الموسيقا السيمفونية، وهذا ما حصل ويحصل الآن، إذ ارتفع عدد الأفراد الذين يفهمون ويتذوّقون الموسيقا السيمفونية، ولقد وعمدت عدة جامعات إلى تكوين فرقٍ سيمفونية خاصة بها.

بالطبع علينا الاستمرار في تطوير تعليم الموسيقا، ولكن لكوني عاشقاً للموسيقا ومطَّلعاً على أدبياتها يخامرني شعور بأن ما ينشر في ميدان الموسيقا، يستهدف المتخصصين والعازفين ولا يلائم المستمع العادي؛ لذلك أدعو إلى توفير كتب مدرسية أكثر ملاءمة، وذلك بإعداد سلسلة من الكتب المدرسية لتدريس مادة الموسيقا بأسلوب سلس ومدروس.

6.33 تذوق الموسيقا السيمفونية : من أين نبدأ؟ وكيف تكون البداية ؟

المحاور:

من الملاحظ أنك اتخذت من الموسيقا السيمفونية نموذجاً يصلح لأن يكون مدخلاً لتدريس الفن في المدارس. فما هو السبيل لجعل المجتمع يألف الموسيقا السيمفونية؟

لي لانكينغ:

إنني أعشق الموسيقا دون أن أفهمها، إنني مجرد هاوٍ، ولم أقرأ سوى بعض الكتب والنشرات الدورية المختصة بالموسيقا، وثبت لي صحة المثل القائل: «طالب العلم لا يشبع»، ولكنني في نهاية المطاف لست سوى هاوٍ، والهاوي في نظري يستطيع في كثير من الأحيان شرح أمور بطريقة أفضل وأبسط وسهلة الاستيعاب بخلاف أهل العلم الذين يستخدمون لغة أكاديمية قد تبدو غير مفهومة للشخص العادي.

لماذا أشدد على أهمية الموسيقا؟ هذا ما قد يتساءله عنه بعضهم. إن الثقافة مفهوم واسع، والموسيقا في حد ذاتها تعني السيمفونيات حصراً، وهناك أوجه عدة للثقافة تتمثل في

الآداب والفنون المسرحية بما في ذلك الرقص. ومن واجبنا دعم الموسيقا الوطنية، فلدينا أعمال موسيقية تستحق التقدير، منها موسيقا «البوب»، ونحن نعلم أنَّ لكل زمان موسيقاه الشعبية والذوق الموسيقي على المستوى الشعبي يختلف من عصر لآخر.

في اعتقادي أنَّ الموسيقا الشعبية تحتاج إلى بعض الدعم، وهنا يختلف بعضهم حول تعريف الأغنية الشعبية. فمن شروط الأغنية - في نظري - أن تكون سهلة الأداء إذْ يستطيع المرء الترنّم بها بعد سماعها مرات معدودة، ولهذا فهي قابلة للانتشار بسرعة، ومن ثم ينبغي تشجيع المطربين المبدعين في مجال الأغنية الشعبية التي يفترض أن نرعاها، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الموسيقا السيمفونية التي تتطلب مهارات وتقنيات رفيعة المستوى.

الموسيقا السيمفونية هي نوع من الأدب العميق في محتواه والمعقد في تقنيته؛ لذلك يجب بذل الجهود لتطويره والارتقاء به.

نشأت الموسيقا السيمفونية في أوربا الغربية، ولهذا تسمى بالموسيقا الغربية، إن النهضة الثقافية التي نسعى لها في الميادين كافة والتي من جملتها الموسيقا لا يمكن أن تتم دون الالتفات إلى منجزات الحضارات الأخرى في ميدان الموسيقا السيمفونية التي أنجبت الموسيقا الكلاسيكية التي لا غنى عنها في الأوبرا ورقص الباليه.

والموسيقا السيمفونية لا تزال حية حتى اليوم ولها جمهورها في كل حين منذ مئتي عام؛ أي منذ عهد المؤلف الموسيقي النمساوي فرانز جوزيف هايدن (1732-1809)؛ الذي ألف نحو100 سيمفونية. وتعرف اليوم هذه الموسيقا بالموسيقا الكلاسيكية أو (الموسيقا الثقافية) أو (الموسيقا التقليدية) وعندما نقول: «تقليدية» نقصد الموسيقا الكلاسيكية، وهنا يخلط بعضهم بين الموسيقا الكلاسيكية والموسيقا التي كانت شائعة في ذاك العصر، وما نعدّه اليوم «موسيقا معاصرة» سيعد في المستقبل موسيقا تقليدية أو على الأصح تراثية.

فنحن نسمي موسيقا الجاز التي راجت في عشرينيات القرن الماضي بالجاز الكلاسيكي، علماً بأنها ولدت منذ نحو قرن من الزمن، وقد نصف الموسيقا الكلاسيكية بموسيقا الإنسان المثقف لكن هذا لا يعني أن بقية أشكال الموسيقا مبتذلة. أعود وأكرر بأنه يجب علينا دعم الحداثة والتجديد في ميدان الموسيقا وتشجيع المدارس الفكرية في مجال الأدب

والفن الموسيقا. إن الموسيقا السيمفونية كما سبق أن أشرت يجب أن تؤدي دوراً مهماً في حياة الجماهير الروحية والفكرية. إن الثقافة الاشتراكية التي تلائم المجتمع الصيني وخصوصيته تتطلب الترويج للموسيقا السيمفونية وتحديداً الكلاسيكية منها، وفي الوقت نفسه عدم إهمال أبرز الأعمال الموسيقية في بلادنا والخارج.

في اعتقادي أن أول ما يجب أن نقرره هو اختيار الموسيقا السيمفونية الملائمة للمبتدئين، والمصادر التي اطلعت عليها أن هايدن هو أول رواد الموسيقا السيمفونية، وحري بتلامذتنا أن يدرسوا حياته وشخصيته وأعماله، غير أن الموسيقا السيمفونية بمعناها الواسع تنسب إلى باخ (1685-1750) أحد كبار الأعلام في تاريخ الموسيقا، بالرغم من أن أعماله بوصفه مؤلف موسيقي لا يعد نموذجاً للسيمفونية، بل هي قريبة منها؛ لذلك يطلق عليه اسم «أبو الموسيقا الحديثة». ولقد ألف (معزوفات براندنبرغ) الست التي ما زالت حية حتى يومنا هذا.

ومن أعلام الموسيقا الذين يجب تعريف تلامذتنا وأبناء شعبنا بهم: وولفغانغ أماديوس موزارت(1756-1791) ولودفينغ فان بيتهوفن(1770-1827) الذي يعدّ أحد عمالقة الموسيقا السيمفونية في عصره وموقع جامعة (تسينغهوا) على شبكة الإنترنت الخاص بـ(بيتهوفن) يحمل عنوان «الرائع المدهش» وهذا في اعتقادي غير مبالغ فيه؛ الآن بيتهوفن كان مؤلفاً موسيقياً فذاً، ويعدُّ همزة الوصل بين الكلاسيكية الأوربية والرومانسية، لقد كان تابعاً لـ (هايدن) وألف جلّ أعماله في القرن التاسع عشر، وقد تبعه كارل ماريا فون ويبر (1786-1826)، وفرانز شوبرت (1797-1828)، وفيليكس ميندلسون (1809-1883)، وريتشارد شتراوس (1864-1949) وغوستاف ماهلر (1860-1911). والجدير بالذكر أن ماهلر استوحى سيمفونيته: «أغنية الأرض» من الأعمال الشعرية للشعراء الصينيين القدامى، لي باي ودونو ومينغ هوران وكيان كي، وهذه من الأمور النادرة في الموسيقا الكلاسيكية الغربية، وجميع المؤلفين الذين تقدم ذكرهم هم من الألمان أو النمساويين.

ومن الأسماء الفرنسية: هيكتور بيرلواز (1803-1869)، وكاميل سانت ساينز (1835-1921)، وجورج بيزيه (1838-1975)، وسيزار فرانك (1822-1890)، وأرنست تشادسون

(1855-1899)، وكلود دييوسيه (1862-1918) ومادويك رافيل (1875-1937). ومن روسيا: ميخائيل إيفانوفيتش غلينكا (1804-1857) الذي كان يلقب بأبي الموسيقا الروسية، وميلي اليكسي فيتش بالاكيرن (1837-1910)، وألكسندر برفيروفيتش بورودين (1833-1887)، وموديست بيروفيتش موسورغسكاي (1839-1881)، ونيكولاي ريمسكي كورساكوف (1844-1908) الذي ألف «الخمسة الأقوياء»، وبيترايليتش تشايكوفسكي (1840-1893) سيد الألحان، وايغور فيودوروفيتش سترافينسكي(1882-1971)، وسيرجيو بروكوفيف (1891-1953)،وسيرج فاسيليفيتش رخمانينوف (1873-1943)، وديمتري ديمتريفتيش (1906-1975)، والبولندي شوبان والهنغاري فرانز ليست (1811-1886)، والتشيكيين كان هناك بيرويخ سميتان (1824-1884) وانتونيو ديفوراك (1841-1904)، والإيطاليون المشاهير أمثال انطونيو فيفالدي (1675-1741)، وفيردي (1813-1901) أما في بريطانيا فعدد المؤلفين الموسيقيين الذين يعتد بهم قليل نسبياً ومنهم هنري بورسيل (1659-1695)، وفيرريدريك ديلوس (1862-1934)، وفون ويليامز (1872-1958)، وأوربا الشمالية إدوار غريغ (1843-1907)، من النرويج، و جين سيبليوس (1865-1957) من فنلندا، وبالرغم من تاريخها القصير في الموسيقا فإن أمريكا لديها مؤلفون بارزون مثل إدوارد ماكدويل (1861-1908) وآرون كوبلاند (1900-1990) والجماهير عموماً يعشقون هؤلاء المؤلفين لروعة موسيقاهم، وننصح جيل الشباب بالاطلاع على حياة وأعمال هؤلاء الموسيقيين.

حبذا لو قمنا بطباعة ونشر كتاب مدرسي يحوي نبذة عن حياة أولئك الموسيقيين تعطي صورة صادقة عن أبرز صفاتهم وأعمالهم السيمفونية وإسهاماتهم في إثراء الموسيقا، ويفضل أن لا تتجاوز سيرة كل منهم 2000 كلمة؛ لأن الإطالة لا تساعد على جذب القارئ.

خلاصة القول: إنّ المطلوب إعداد كتاب لطلاب المدارس يوجز أعمال هؤلاء الموسيقيين في سياقها التاريخي والوجداني. وفي الوقت نفسه نستطيع استغلال الوسائل السمعية والبصرية وأشرطة التسجيل الصوتي وأشرطة الفيديو والأقراص المدمجة.

لا شك في أنه يوجد في الأسواق تسجيلات وألبومات تحوي الكثير من الأعمال السيمفونية، ولكن المشكلة هي أن هذه الأشرطة تحوي مقطوعات مختلطة غير ملائمة لتعريف المبتدئين

بكيفية تذوق هذه الموسيقا، ولذلك لا نستطيع التعويل عليها. لذلك أرى أنه من الأجدى والأنفع إعداد أقراص أو شرائط تسجيل لموسيقا بيتهوفن مثلاً تتضمن سيرة حياته وأعماله. والسيمفونية الثالثة على سبيل المثال يمكن أن تكون مدخلاً لتذوق موسيقا بيتهوفن بعد التقديم لها بكلمة موجزة عن مغزاها وعدد الحركات فيها، ومعنى كل حركة وكيف يمكن فهمها وتذوقها، كذلك الأمر بالنسبة لمؤلفاته الأخرى مثل: «السيمفونية الخامسة» أو «السادسة» أو«السيمفونية التاسعة» وجميعها روائع خالدة. إذن يمكننا اختيار من أعمال بيتهوفن ما يسهل على المستمع تذكره بعد الاستماع إليه عدة مرات، بحيث يصبح بعدها قادراً على تحديدها ومعرفة دلالاتها.

مما لا شك فيه أن الموسيقا الكلاسيكية تخاطب القلب بالدرجة الأولى وليس من السهل التعبير عن مكنوناتها بالكلمات، وأول ما يجب عمله لترشيد طلاب الجامعات هو تعليمهم المبادئ قبل تطوير مهاراتهم في تذوقها وفهمها. ولا أزال أذكر أول مرة استمعت فيها إلى الموسيقا السيمفونية وذلك عندما زرت أحد زملائي في منزله وكان أهله يمتلكون جهاز (فونوغراف) وبعض الإسطوانات، ومنها أسطوانة كتب عليها: «أفراح هنغارية» وعندما استمعت إليها كان وقعها جميلاً. على أذني وبعد زياراتي المتكررة إلى ذلك المنزل صرت أحفظ تلك المعزوفة عن ظهر قلب، وأصبحت تتملّكني مشاعر خاصة تجاهها، وفي عام 1950 جاء وفد من الهنغاريين الشباب إلى جامعة (فودان)، فعزفت مجموعة منهم تلك المقطوعة. وكانت تلك المرة الأولى التي استمتعت فيها بالاستماع إلى عمل موسيقي يؤديه عازفون قدموا من وطن المؤلف، وبعد أكثر من 50 عاماً ما زلت أتذكر تفاصيل ذلك الأداء.

بعد الفراغ من إعداد الكتب المدرسية الملائمة ينبغي وضع برنامج خاص لدعوة مدرسي الموسيقا والموسيقيين المحترفين لإلقاء محاضرات أو لإقامة أمسيات موسيقية يحضرها الشباب. ويمكن إدراج الموسيقا مادة إلزامية في تخصصات معينة. ولا يمكن التعويل على الموسيقيين فقط لإلقاء المحاضرات والحفلات الموسيقية بل نحتاج أيضاً إلى تدريب وإعداد

المزيد من المدرسين، وكنت قد تقدمت بمقترح إلى المسؤولين في وزارة التعليم العالي حول حل مشكلة النقص في عدد مدرسي الموسيقا المؤهلين.

وقد بدا واضحاً أن معاهد تأهيل المعلمين (دُوَّر المعلمين) غير قادرة على سد هذا النقص بمفردها؛ ولذلك اقترحت إشراك المعاهد العالمية للموسيقا في هذا الجهد، ثمة طريقتان: الطريقة الأولى: وتتلخص في دمج معاهد الموسيقا مع كليات الفنون في الجامعات العادية لتدريب وإعداد أساتذة لتدريس مادة الموسيقا لطلاب الجامعات.

أما الطريقة الثانية: فتتلخص في تنظيم دورات تدريبية في معاهد الموسيقا تهدف إلى رفع مستوى تأهيل مدرسي الموسيقا. أما فيما يخص الفرق السيمفونية فقد اقترحت أن نقوم من حين إلى آخر بإقامة حفلات موسيقية لتقديم أشهر الأعمال يحضرها طلاب الجامعات بعد شراء بطاقات بأسعار مخفضة. لكن عدم توافر صالات كبيرة لهذا الغرض يحتم علينا بناء صالات مناسبة غير بعيدة عن الجامعات.

ويقيني أن الطالب عندما يصبح ملماً إلماماً كافياً بالموسيقا سيرغب على الأرجح في تعلم العزف على آلة معينة أو ربما تعلم الغناء الأوبرا لي أو الاثنين معاً، وسيكون لذلك آثار إيجابية على ثقافة الطالب الجامعي وسلوكه الاجتماعي، كما أن مشاركته في أنشطة فنية يهيئه للإسهام في أنشطة اجتماعية، وبهذه الطريقة يمكن للفرد استغلال طاقته الكامنة. إن الفرد الذي تقتصر معلوماته على ميدان اختصاصه سيبقى طوال حياته محدود الأفق، إن ما أقصده هو أن الطالب في كلية الفنون على سبيل المثال يجب أن يكون ملماً بمبادئ العلوم والتكنولوجيا والعلوم الإنسانية.

خلاصة القول: إن الطالب أياً كان تخصصه يجب أن يكون ملماً إلى حد ما بالعلوم الأخرى ومنها الموسيقا. إن تركيزنا على الموسيقا السيمفونية لا يعني إهمال باقي أشكال الموسيقا أو الأعمال الأدبية الأخرى، فالآداب والفنون ميدان واسع يشمل الموسيقا. وعندما يتمكن الطالب من تذوق الموسيقا السيمفونية فسيرغب على الأرجح في امتلاك المعارف في مجالات أخرى مثل المسرح والرقص وغيرها.

والملاحظ أن الموسيقا السيمفونية الكلاسيكية تنتشر بسرعة في وطننا، والجدير بالذكر أن وسائل الإعلام المرئية والمسموعة وكذلك أوبرا (بكين) تسهم في انتشار الموسيقا السيمفونية.

ومنذ مدة قصيرة عرضت محطة التلفزة cctv 10 سلسلة من البرامج تتناول حياة وأعمال كبار مؤلفي الموسيقا الكلاسيكية. ولقد أخذت الموسيقا السيمفونية في الجامعات تتنامى، وإننا على ثقة بأن المستقبل سيشهد المزيد من التقدم.

جعل المجتمع مكاناً أفضل لصقل الشخصية

6.34 بناء شخصية الطالب مرهون بوجود مديرين ومدرسين أكفاء

المحاور:

يقول بعضهم: إن الخطوة الأولى في بناء الشخصية بناءً متكاملاً يستلزم تعيين مديري مدارس ومعلمين أكفاء، فما رأيك؟

لي لانكينغ:

من الطبيعي أن يكون دور المعلمين، ومديري المدارس حيوياً بالنسبة لتربية الشخصية المتكاملة، ويمكننا بوصفنا مسؤولين أن نشدد على ضرورة هذا الدور. ولكننا يجب أن نعي أهمية تأهيل المعلم والمدير للقيام بهذا الدور، وهذا يعني إعداد وتدريب جيل جديد من المعلمين ومديري المدارس. إن الإصلاح الجاري في قطاع التعليم يحتم على كل محافظة إعداد مدرسين أكفاءٍ يكونون نموذجاً لبقية المدرسين، وهنا أود الإضافة بأن تدريب المعلمين يجب أن يتضمن التربية الأخلاقية والبدنية والأشغال اليدوية.

إن طلاب كليات المعلمين اليوم هم معلمو المستقبل، وشخصيتهم اليوم تقرر المستوى الذي سيصله بناء الشخصية في المستقبل. فأسلوب التدريس في كليات المعلمين سيؤثر بلا شك على قدرة المعلم الناشئ على التعليم مستقبلاً. وأعود لأكرر أنه لا بد من إعداد جيل من المعلمين القادرين على الارتقاء بتربية وبناء شخصية الطالب وعلى الإسهام في إصلاح التعليم.

4.35 اتخاذ إجراءات لإعداد مجموعة من المدرسين المؤهلين تأهيلاً جيداً.

المحاور:

ما هي المتطلبات الأساسية لإعداد مجموعة من المعلمين المؤهلين، وما هي الإجراءات التي اتخذتموها في هذا الشأن؟

لي لانكينغ:

نحتاج إلى عدد كبير من المدرسين ذوي الكفاءة من أجل تطبيق البناء المتكامل للشخصية. وأهم الصفات التي يجب توافرها في المعلم هي: إخلاصه للوطن، وإيمانه بهدف التعليم، وفهمه للعملية التعليمية، وأن يمارسها بكل محبة ووعي. وأن يكون قدوة حسنة لتلاميذه. فضلاً عن امتلاكه المهارات التي تتطلبها المهنة ومواكبته لآخر المستجدات في طرق التعليم.

وقد اتخذنا عدة خطوات في السنين الأخيرة لرفع المستوى الثقافي والمهني للمعلم ومن أهمها:

أولاً: التشديد على الجانب التثقيفي في إعداد المعلمين وهذا يتطلب المزيد من التدريب كماً ونوعاً. ومن ناحية أخرى يجب إعادة النظر في التوزع الجغرافي لدور المعلمين (كليات تأهيل المعلمين)، كما يجب تشجيع الجامعات الكبيرة ومؤسسات التعليم العالي الأخرى على المشاركة في إعداد وتدريب معلمي المدارس الابتدائية والثانوية، بما في ذلك القدرة على استخدام الحاسوب إضافة إلى الاهتمام بأخلاقية العمل التي هي أهم عنصر في بناء الشخصية.

أما بالنسبة للتعليم المهني فيجب انتقاء المعلمين من المهندسين والتقنيين المؤهلين، ومديري المشروعات. وأن نعمل في إعداد فوج من خريجي دور المعلمين في شتى التخصصات، وقد عمدت الحكومات والمجالس المحلية إلى تخصيص الأموال اللازمة لصرفها بوصفها مكافآت للقائمين على إعداد وتأهيل المدرسين الذين يُعَدُّون قادرين على تعليم وتدريب الآخرين.

ثانياً: تطبيق معايير اعتماد للمعلمين، عبر امتحانات مفتوحة تؤهل الناجحين لممارسة مهنة التدريس، والمنافسة في هذا الميدان ستكون مفيدة في رفع مستوى أداء المدرسين وإدارة المدارس. إن جلّ المدارس الابتدائية والثانوية تسد حاجتها من المدرسين عن طريق الإعلان، وبعد موافقة دائرة الشؤون التربوية المحلية. أما مؤسسات التعليم العالي فتختار وفق شروطها في إطار القانون وعلى أساس المفاضلة.

وبعد تطبيق التعليم الإلزامي في الريف وإصلاح الجهاز الإداري بحيث باتت تخضع كل محافظة ومقاطعة إلى إدارة مركزية محلية، وأصبح التعليم في الريف أفضل تنسيقاً وأكثر فاعلية، وبالنتيجة هذه سيسرح بعض المدرسين والموظفين، وستصرف لهم تعويضات شاملة، وسيكون بإمكانهم الاستفادة من نظام الرعاية الاجتماعية الذي سيضمن لهم إيجاد عمل بديل في مقاطعة أخرى أو ربما توفير التدريب اللازم لشغل منصب جديد.

ثالثاً: معالجة مشكلة التوزع غير المنصف لمعلمي المدارس، وذلك بأن تقوم السلطات في مختلف المناطق بوضع سياسات تُشَجِّعُ المدرسين الجيدين في المدن الكبيرة والمتوسطة على التعليم بدوام جزئي أو كامل في المدارس الريفية المحرومة، وأن يتم وضع نظام معقول لحث معلمي المدارس الابتدائية والثانوية في المدن على العمل في المدارس الريفية. وأرى أن لا يتم ترقية أي معلم ما لم يكون قد درّس في الريف مدة سنة على الأقل. وعلى المدن والمناطق الأكثر تطوراً أيضاً أن تتخذ خطوات مماثلة لمساعدة المناطق النائية المتخلفة في إعادة تأهيل أو تدريب المزيد من المدرسين المحليين.

وأخيراً ينبغي أن نبذل كل ما نستطيع في حسن اختيار مديري المدارس ومعاونيهم ليكونوا قدوة للمعلمين، إن المدير الجيد يستطيع تحويل مدرسته إلى مؤسسة فاعلة عبر دوره القيادي في توعية المدرسين إلى ضرورة العناية ببناء وتهذيب شخصية الطالب؛ وهذا يستلزم تعزيز وتحسين النظام المتبع في تدريب وإعداد مديري المدارس الثانوية، وتعيين فقط من يمتلك المؤهلات اللازمة لشغل منصب مدير. كما يجب اعتماد نظام قابل للتعديل لاختيار وتعيين مديري المدارس وفق معايير أولية يمكن تطويرها تدريجياً.

6.36 توجيه تلامذة المدارس الابتدائية والثانوية إلى ممارسة أنشطة مفيدة خارج إطار المنهاج الدراسي

المحاور:

من المعلوم أن مقاهي الإنترنت وصالات ألعاب الفيديو تواجه اليوم الكثير من الانتقادات لما لها من آثار سلبية على صحة فتياننا العقلية والبدنية، وكنت من الذين بادروا إلى الدعوة للحد من انتشار هذه الظاهرة، فما هو في نظرك المطلوب عمله لمكافحة هذه الظاهرة؟

لي لانكينغ:

إن الإنترنت سلاح ذو حدين، ولذلك يجب السعي للاستفادة من منافعها وفي الوقت نفسه تجنب مضارها. ومن منافعها في ميدان التعليم أنها توفر مصادر المعرفة لأكبر عدد من أفراد المجتمع، وهي غير مكلفة وتمثل اليوم أحد أهم الوسائل في نقل المعرفة، فضلاً عن كونها عنصراً مهماً في إطار الإصلاح التربوي الذي ننشده.

فيما يخص الجانب السلبي للإنترنت وتكنولوجيا المعلومات فهذا ما يجب أن نكافحه، لا سيما أن الآثار الضارة لمقاهي الإنترنت وصالات ألعاب الفيديو قد تظهر للعيان، وقد قرأنا وما نزال نقرأ تقارير عن هذه المشكلة التي أخذت تتخذ أبعاداً خطيرة، وإذا لم نجد حلاً للقضاء على هذه الظاهرة فسيكون لذلك عواقب وخيمة على قطاع التعليم.

في 14 آذار/مارس من عام 2000 بعث رئيس الحكومة (جيانغ زيمين) بمذكرة شخصية إلى (جو رونجي) و(خو جنتاو) وإليّ شخصياً حول جريمة قتل ذهب ضحيتها ثلاثة طلاب في أحد صالات ألعاب الفيديو في بلدة (ليويانغ). وقد طلب رئيس الحكومة تقديم الفاعلين إلى العدالة، وأكد على أن الحل في حالات كهذه يكمن في مراقبة أنشطة الطلاب في أوقات فراغهم، ودعا الحكومة إلى توفير المرافق والبرامج التي تتيح للشباب ممارسة أنشطة صحية ومفيدة.

كما أوعز إلى اللجنة المركزية لاتحاد الشُّبَّان والجهات المسؤولة عن الشؤون التربوية والعلوم، بجولة تفتيشية على المرافق والبرامج الشبابية لمنع الممارسات الضارة، كما طلب من السلطات المعنية رصد مخصصات مالية لبناء المنشآت والمرافق اللازمة لممارسة مختلف الأنشطة الترفيهية المفيدة، ودعا المؤسسات غير الحكومية إلى المشاركة في هذا الجهد. وقد أصدرت أنا وجو رونجي تعليمات خطية واضحة وصارمة تنص على:

- المراقبة الصارمة لمقاهي الإنترنت وصالات ألعاب الفيديو، وإغلاق المقاهي والصالات غير المشروعة ومعاقبة المخالفين.
- محاسبة الأطراف الحكومية التي تواطأت أو غضت الطرف عن هذه البرامج أو قصَّرت في أداء واجباتها، وتسريح من ثبت تورطه.
- استخدام الوسائل التكنولوجية في رصد ومكافحة سوء استخدام الإنترنت وكذلك صالات ألعاب الفيديو والشبكات غير المرخصة.
- منع القاصرين من ارتياد مقاهي الإنترنت وصالات ألعاب الفيديو.

إني أعلم بأن بعضهم سوف يتَّهمني بالغلو وهو انتقاد لا أقبله، إني على قناعة بأن الحكمة تقتضي ألا ندع أبناءنا يستخدمون الإنترنت بمعزل عن رقابة أسرهم أو مدارسهم. إن مقاهي الإنترنت تجني أرباحاً طائلة، وبمقدور المدارس أن تحل محلها بتمويل حكومي أو عن طريق فرض رسوم تدفع لقاء استخدام شبكة الإنترنت تحت إشراف المدرسة.

خلاصة القول: يجب أن نسارع – وبحزم – إلى حظر مقاهي الإنترنت وصالات الفيديو غير المرخصة أصْلاً، وتحقيق هذه الغاية ليس بالأمر المستحيل، ويقع على عاتق الحكومات والإدارات المحلية.

في 3 حزيران/يونيو من عام 2000 وبناءً على توجيهات رئاسة الوزراء أصدرت السلطات المركزية مرسوماً يقضي بتشييد مبانٍ خاصة لمختلف البرامج الطلابية شريطة أن تخضع هذه المرافق لرقابة مشددة، وينص المرسوم على توفير المال اللازم من مصادر حكومية أو من ريع المباريات الرياضية وبيع بطاقات يانصيب التي يفترض أن تغطي جزءاً من التكلفة.

وبدعم من وزارة المالية ووزارة الشؤون البلدية والهيئة العامة للرياضة رصدت الحكومة مبلغاً قدره 3.4 ملايين يوان، بحيث يصرف على النحو الآتي: 600 مليون يوان في أثناء السنتين 2000 و2001، و700 مليون يوان خلال المدة الممتدة من عام 2002 حتى عام 2005، وذلك لترميم وتشييد المباني المطلوبة. وبحلول نهاية الخطة الخمسية العاشرة (2001-2005) سيكتمل بناء 2500 مبنى في عواصم المقاطعات؛ أي ما يفي باحتياجات 90% من المقاطعات.

وقد استثمرت بلدية شنغهاي مبلغ 1.6 مليار يوان وست مئة مليون يوانٍ في بناء مجمع للأنشطة الترفيهية والبرامج الشبابية على أرض مساحتها 373 هكتاراً قرب بحيرة ديان شان. ومنذ ذلك الحين صار الفتيان والفتيات يرتادون المكان لإقامة المخيمات وممارسة مختلف الأنشطة.

أعود لأشدد على ضرورة بذل المزيد من الجهد والوقت على إعداد برامج ومشروعات لرعاية الشباب، وينبغي - كما سبق - أن أشرت تخفيف الأعباء الدراسية التي تجهد الطالب، وفي الوقت نفسه تشديد الرقابة على الأنشطة غير المدرسية التي يمارسها طلاب المدارس الإبتدائية والثانوية، ودفع الطلاب إلى ممارسة أنشطة مفيدة وهوايات نافعة مثل المطالعة أو الألعاب الرياضية أو تذوق الموسيقا والفنون أو صناعة أدوات علمية بسيطة وتخصيص ساعة يومياً للتربية البدنية.

من جهة أخرى على المدرسة أن تبقى على تواصل مع أهل الطالب أو أولياء أمره، وإن من أهم واجبات المدارس والأجهزة الحكومية المعنية بالتربية والتعليم في مختلف المناطق إبقاء طلبة المدارس الابتدائية والثانوية بعيداً عن صالات ألعاب الفيديو والنوادي الليلية. كما يجب على المسؤولين تنظيف محيط المدرسة من الباعة ومظاهر التخلف الثقافي الذي لا يشكل بيئة صالحة لتلامذة المدارس.

وعلى صعيد آخر ينبغي القيام بجولات تفتيشية لتفقد المرافق المعدة للأنشطة الترفيهية والألعاب الرياضية وكذلك منظمات رعاية الشباب التي تخضع للسلطات الإدارية المحلية، والتأكد من أن المرافق وصالات الألعاب الرياضية تستخدم حصراً للأغراض المعدة لها.

ومن الضروري مضاعفة جهودنا لبناء المزيد من الملاعب الرياضية كي يتسنى لطلاب المدارس ممارسة الألعاب الرياضية في محيط مدارسهم. وأرى أن تعطى الأولوية لبناء منشآت رياضية في المدارس المحرومة وخاصة عند وضع خطط تنموية في قطاع البناء.

6.37 توفير البيئة الملائمة لنشر مبدأ بناء وتربية شخصية الطالب

المحاور:

كنت قد أشرت إلى أن المدارس لا تستطيع بمفردها القيام بمهمتها التربوية في تهذيب وتنمية شخصية الطالب، فما هي المتطلبات التي وضعتها في هذا الاتجاه؟

لي لانكينغ:

إن موضوع تهذيب أو صقل شخصية الفرد شأن قيادي، فالقادة على المستويات كافة يجب أن يكونوا واعين لأهمية التربية بمفهومها الصحيح في تكوين وصقل شخصية الفرد. لكن سلوك بعض القادة المحليين لا يستقيم مع المفهوم الصحيح للتربية. ففي أثناء جولة تفتيشية قمت بها في إحدى النواحي تبين لي من إجابات المسؤولين أنهم معنيون بعدد الجوائز والميداليات الأولمبية التي فاز بها طلابهم.

لا شك أن الفوز بميداليات أمر جيد، لكنه ليس سوى أحد أبعاد العملية التربوية والتركيز على بعد واحد يعني السير في الاتجاه الخاطئ. إن المطلوب هو التركيز على الجوانب كافة وهذا يعني تحسين طرائق التعليم وتوفير البيئة المدرسية والتجهيزات الملائمة. وفي السنوات الأخيرة قامت الحكومة والإدارات المحلية بإصلاحات كثيرة من جملتها إصلاح نظام الرواتب بما في ذلك رواتب المدرسين من خارج ملاك الحكومة. وهذا يحتم على الحكومات المحلية أن تضمن التمويل اللازم لقطاع التعليم، وفي الوقت نفسه تراقب أن أداء كل مدرسة ومدى نجاحها في تطبيق إستراتيجيتنا التربوية.

والحق يقال: إنه تم إحراز تقدم في مجال تربية وصقل شخصية الطالب، وذلك لعدة أسباب تتلخص أولاً: في قيام قادة الحكومات المحلية بحملات توعية استهدفت العاملين في

الحقل التربوي، وقد زرت مدينتي ميليو ويانتاي وكلتا المدينتين مثال يحتذى في حسن تطبيق مبدأ بناء وتربية الشخصية.

فالقضية بالنسبة للمسؤولين الذين قابلتهم قضية اجتماعية بالإضافة إلى جانبها التربوي، وقد تبين عبر تجربتهم أن مبدأ تربية الشخصية لا يمكن تطبيقه دون دعم من الحكومات المحلية، ودون تغيير في مفهوم التربية السائد لدى بعض العاملين في ميدان التربية والتعليم، والمجتمع كُلِّه.

وقد سعى المسؤولون إلى توعية الأهالي إلى أن التركيز على ما أسميناه بناء شخصية الفرد، لا يعني إهمال العناصر الأخرى التي تكون العملية التربوية، ونتيجة لهذه المساعي أصبحت هاتان المدينتان تتصدران باقي البلدات في عدد الطلاب الذي يتخرجون بنجاح وكذلك أولئك الذين ينتقلون إلى مؤسسات التعليم العالي من جامعات أو معاهد.

وقد انعكس ذلك في التحول الإيجابي الذي طرأ على نظرة الأهالي، بحيث لم يعودوا يعلقون آمالهم حصراً على دخول أبنائهم الجامعات. وفي السنوات العشر الأخيرة أصبحت تنمية التربية والتعليم في هاتين المدينتين معياراً لحسن أداء المسؤولين بوجه عام.

إن مبدأ تربية الشخصية – كما سبق وأشرت – لا يمكن تطبيقه من قبل المدارس فقط بل يتطلب جهود أطراف أخرى تأخذ على عاتقها إرساء قواعد جديدة وأنظمة تحكم امتحانات دخول المدارس واعتماد نظام للتقويم وإعادة هيكلة البنية الإدارية.

إن تجربة ميلو ويانتاي تبين أن الإصلاح التربوي لا يتحقق إلا إذا اتبعت مؤسسات الدولة نهجاً علمياً في مقاربتها لموضوع إصلاح النظام التربوي الذي يتطلب تغيير مفهوم بعضهم للتربية والتعليم.

إن نظام التوظيف المتبع في الصين بحاجة إلى إعادة نظر شاملة لكونه يرتبط بمفهوم تربية الشخصية والتقويم التقليدي للمواهب الفردية. ثمة نزعة لدى الكثيرين إلى اعتبار التفوق في الدراسة مقياساً وحيداً في تقويم مقدرة الفرد وكفاءته. ونحن نعلم أن تقويم الفرد

في الكثير من البلدان المتقدمة لا يعتمد فقط على الأداء الأكاديمي أو مجموع العلامات، فهناك صفات أخرى ينبغي جعلها في الحسبان غير التفوق الدراسي، والحقيقة أن الكثير من الأشخاص الذين نبغوا في حياتهم لم يكونوا بالضرورة من المتفوقين في دراستهم.

إننا في الصين بحاجة إلى أعداد كبيرة من المختصين المحترفين، كما أننا بحاجة أيضاً إلى الملايين من العاملين والموظفين العاديين المؤهلين، وهذا يستلزم إعداد وتدريب احتياطي كبير من القوى العاملة وخاصة في مجال التدريب المهني. ومن جهة أخرى يجب أن نغير المفهوم التقليدي للفرد الموهوب، وهذا يعني تغيير أساليبنا في تقويم وانتقاء الموظفين الجدد بحيث لا نعول فقط على المؤهلات العلمية أو الدراسية.

هناك الكثيرون من أصحاب المواهب وعلى أصحاب القرار أن يسمحوا لكل من يجد في نفسه الكفاءة أن يشارك في أي مسابقة، ويجب أن ننمي في طلابنا الثقة بالنفس وبالمستقبل وأن يتحلوا بالطموح وروح التفاؤل.

أريد الآن أن أوجه بعض النصائح لأهالي الطلاب، من الطبيعي أن يريد الوالدان الخير والنجاح لأبنائهم وبناتهم وخاصة في مجتمعنا، حيث إن جل الأطفال من أسر لديها ولد واحد وهذا يجعل الأهل يضغطون على أبنائهم ظناً منهم أن ذلك يدفع الولد إلى التفوق في دراسته مما يؤدي إلى مفعول عكسي والشواهد على ذلك كثيرة.

وقد بينت دراسة إحصائية بأن العديد من الأهالي يعلقون أهمية كبرى على تفوق أبنائهم في الامتحانات، ولا يكترثون بموضوع بناء وتربية شخصية الطفل.

وهناك أهالي يجبرون أولادهم على النجاح في مسابقات العزف على البيانو وقد يكرهونهم أحياناً على تعلم العزف على عدة آلات موسيقية. من المؤكد أن الفن أمر ضروري لتنمية شخصية الطفل ولكن الهدف الأساسي يبقى إلهام الطفل ودفعه إلى تذوق الفن والاستمتاع به.

عندما يكون أطفالنا مثقلين بالوظائف والواجبات المدرسية ويعانون ضغوطاً نفسية، يصبح من الصعب أن ينمو ويتزعزعوا على نحو صحي، وعلى الأهل والمجتمع أن يخففوا

من تلك الضغوط اليومية. إن تربية وتعليم الأطفال علمٌ وفنٌّ، لذلك ينبغي أن يكون الأهل على دراية بأصول التربية الحديثة وعلم النفس، ومن ثم يحتاج الأهالي أنفسهم إلى توجيه تربوي وأن يسهموا مع المدرسة في تربية الجيل الناشئ.

لا شك أن الرأي العام يؤدي دوراً رئيساً في دفع العملية التربوية إلى الأمام وفي توجيه وإرشاد الطلاب وذويهم وأفراد المجتمع كله. ونأمل أن يقوم صحفيونا بتغطية التقدم الحاصل في قطاع المدارس والإشادة بالتجارب الإيجابية التي يرونها، كما نأمل أن يسهم كتابنا وفنانونا وباحثونا في دعم مسيرة الإصلاح التربوي.

إن الجهود المبذولة في مجال تربية وتهذيب الشخصية تحتم علينا إحداث تغييرات شاملة في التوجه العام وفي العمل والمؤسسات والأساليب المتبعة في الوقت الراهن. كما تحتم إعادة النظر في قيمنا التربوية. وبعبارة أخرى أقول: إننا بحاجة إلى إحداث تغييرات جذرية في نظامنا التربوي؛ لكي نحقق التحولات الاقتصادية والاجتماعية المنشودة في إطار إستراتيجية النهضة التربوية والعلمية. إن الأوضاع والمناخ اليوم أفضل جداً من ذي قبل لتربية وبناء شخصية تلاميذنا وفق المبادئ التي طرحناها، لكن هذا لا يعني أننا سنتمكن من حل جميع المشكلات دفعة واحدة.

إن التناقض القائم بين الموارد التربوية المتاحة والطلب المتزايد على طلب العلم، يحتاج إلى سنوات طويلة من العمل الشاق لمعالجته، وحتى لو نجحنا في تحقيق الإصلاحات المطلوبة فلن تتحقق النتائج المرجوة إلا إذا تمكنّا من معالجة قضايا ذاتية معينة وأقصد بـ «ذاتية» غير موضوعية.

نأمل أن تتعاون المدارس وأسر التلاميذ والمجتمع عموماً في تحقيق النهضة التربوية وفق إرشادات الحكومة في هذا الشأن.

7

المضي قدماً في توسيع قاعدة التعليم المهني وتعليم الكبار

أدت سياسة الحكومة المركزية الرامية إلى الإصلاح والانفتاح على العالم الخارجي وتنمية الاقتصاد إلى ازدياد الطلب على الأيدي العاملة الماهرة في شتى الميادين وخاصة في قطاع الخدمات؛ واستجابة لطلب السوق ازداد الإقبال على التعليم والتدريب المنهي، ووصل أوجه في بداية التسعينيات.

وقد اتبعت الحكومة سلسلة من الخطوات الأساسية ومن جملتها البرنامج الوطني لإصلاح وتطوير التعليم الذي صدر عام 1993، كما اتخذت قرارات تتعلق بإصلاحات شاملة في مجال التعليم بما في ذلك التعليم المهني وهي القرارات التي صدرت بين عامي 1999و 2002، وأدت إلى وضع التعليم المهني في إطاره الصحيح، بحيث أصبح التعليم المهني يتم على ثلاثة مستويات: التعليم المهني الابتدائي، والتعليم المهني الثانوي، والتعليم المهني ما بعد الثانوي.

ولقد بلغ عدد المعاهد المهنية الثانوية بين عامي 1993 و 2002 زهاء 16000 معهد، وارتفع عدد المنتسبين سنوياً إلى هذه المعاهد من 3.61 مليون إلى 4.7 أربعة ملايين وسبع مئة ألف، كما بلغ إجمالي عدد الطلاب 11.97 مليون في أثناء المدة نفسها.

أما المعاهد المهنية العليا غير الرسمية فقد ارتفع عددها من 83 إلى 568 معهداً، وازداد عدد المنتسبين سنوياً إلى هذه المعاهد من 35.000 إلى 80.000 طالب، في حين ارتفع عدد طلاب مؤسسات التعليم المهني كافة من 720.000 إلى 1.61 مليون طالب. والواقع أن المدارس المهنية الرسمية وغير الرسمية الخاصة خرجت أكثر من 35 مليونَ حرفي وعاملٍ ماهر منذ بداية حملة التطوير والتحديث.

وكان لهذه المدارس الفضل الأكبر في رفع المستوى المهني لليد العاملة وخاصة في قطاع الخدمات، وأوجدت فرص عمل جديدة وسرعت عملية التطوير الاقتصادي والاجتماعي، وجرى توحيد أسماء المعاهد المهنية الرسمية والخاصة التي صارت تعرف بـ «المعاهد المهنية والتقنية».

لقد عملت الدولة على تطوير التعليم في عدة اتجاهات بدءاً من تعليم الكبار والتأهيل المستمر للعاملين في شتى القطاعات وغير العاملين مما أتاح لهم إيجاد فرص عمل، وَمَكَّنَ فقراء الأرياف من تحسين أوضاعهم المعيشية.

7.1 على التعليم المهني أن يلبي احتياجات سوق العمل

المحاور:

صف لنا لو سمحت مدى تطور التعليم المهني في الصين في السنوات العشر التي كنت في أثناءها مسؤولاً عن التربية التعليم.

لي لانكينغ:

يعود تاريخ التعليم المهني في الصين إلى عام 1866، حين أنشئت أول مدرسة صناعية لبناء السفن في (ماوي) إقليم فوجيان. وكانت هذه المدرسة وغيرها تدرس ما كان يسمى آنئذٍ «التعليم الصناعي».

ولقد بدأ التعليم المهني في الصين ينمو ويزدهر منذ تأسيس الصين الجديدة وخاصة بعد الإصلاح والانفتاح الذي انطلق عام 1978، الذي وصل ذروته في منتصف التسعينيات حين أصبح عدد المنتسبين إلى المدارس والمعاهد المهنية يساوى عدد الطلاب تقريباً عدد الطلاب في المدارس والثانويات العادية. والواقع أن انتشار التعليم المهني قد أسهم في رفع جودة الإنتاج الصناعي والخدماتي.

لكن إعادة هيكلة القطاع الصناعي والتكنولوجي لم يواكبه تطوير المعاهد المهنية التي تراجعت وهبط مستواها، إذْ لم تعد قادرة على تلبية احتياجات التنمية الاقتصادية والاجتماعية. ولذلك أصبحت الأولوية للإسراع في تطوير وتعزيز قطاع التعليم والتدريب المهني، ولتحديد هذا الغرض حددت الحكومة أربع نقاط لمعالجة هذا الوضع:

أولاً: رفع مستوى الوعي العام بأهمية التعليم المهني.

ثانياً: المبادرة إلى الإصلاح الجذري لمنهجية التدريب والتعليم المهني.

ثالثاً: وضع التشريعات اللازمة وتوحيد الأنظمة الإدارية وتعزيز عملية الإشراف والرقابة.

المؤلف في أثناء زيارته للمدرسة المهنية الصناعية في يانغجو (إقليم جيانغسو)- آذار/مارس، 1995

رابعاً: انتهاج سياسات ومعايير للارتقاء بمستوى التعليم المهني كماً ونوعاً.

وأستطيع القول: إن هذه الإجراءات قد حققت الأهداف المرجوة.

وقد قامت الحكومة المركزية بالتنسيق مع الإدارات المحلية بوضع خطط كفيلة بإيجاد بيئة ملائمة لانتشار التعليم المهني والتقني، كما شجعت شرائح المجتمع كافة على المشاركة. وفي الوقت نفسه سعت لتطبيق قانون التعليم الإلزامي لتسع سنوات على الجميع بالإضافة إلى برامج محو الأمية بين الشباب والأفراد الأكبرين.

وقد تم إدراج التعليم المهني بوصفه خياراً لطلاب المدارس الثانوية والإعدادية، وقد أسهمت هذه الانطلاقة في توفير التعليم المهني العالي لخريجي المدارس الثانوية.

إنَّ الصين تطبق اليوم نظاماً للتعليم المهني بدءاً من المرحلة الابتدائية إلى مرحلة ما بعد الثانوية. مما أتاح فرصة إمكانية تشغيل العديد من العاملين، وأعاد التوازن بين التعليم الثانوي والتعليم المهني.

ففي عام 1993 بلغت نسبة المنتسبين إلى المعاهد المهنية 54% من مجمل عدد طلاب المدارس الثانوية، ولكن هذه النسبة انخفضت نتيجة لحاجة سوق العمل إلى مهن أكثر تنوعاً، وأيضاً نتيجة لتزايد الإقبال على الجامعات ومعاهد التعليم العالي، ففي عام 2001 بلغت النسبة 42%.

وقد أنفقت الدولة في عام 2002 على التعليم المهني في المرحلة الثانوية مبلغ 41.64 بليوناً وست مئة وأربعين ألف مليون يونٍ، أي زهاء ثلاثة أضعاف ما أنفقته في عام 1993.

خلاصة القول: إن الدولة قد رصدت مخصصات مالية كبيرة أسهمت في تحقيق النمو الهائل الذي شهده القطاع والتدريب المهني.

ولزيادة مردود استثماراتها في مجال التدريب المهني عمدت الدولة إلى إعادة هيكلة المدارس المهنية وتوزعها الجغرافي، ونتيجة لذلك تمكنا من استثمار الأموال المرصودة بطريقة أفضل وأكثر جدوى.

وبين عامي 1993و 2002 ارتفع متوسط عدد الطلاب في الثانويات المهنية من 453 إلى 733، وتم بناء 3000 ثانوية مهنية جديدة في المحافظات التي بات نصفها يتلقى دعماً مالياً

المؤلف في أثناء زيارته لثانوية جنهوا المهنية في (إقليم سيشوان) - أيلول / سبتمبر، 1994

من الحكومة المركزية. وقد بلغت هذه المدارس مستوىً يدعو للفخر وهي تشكل اليوم العمود الفقري لنظام التعليم المهني المطبق في الصين.

إن التعليم المهني القائم على التدريب المتكامل وتنوع المناهج الذي يمتد من المرحلة الابتدائية إلى مرحلة ما بعد الثانوية، سيكون قادراً على رفد سوق العمل بمختلف المهارات، وقد حصل ذلك بالفعل. ومن جهة أخرى فقد أسهم خريجو المدارس المهنية في مساعدة المزارعين الفقراء على النهوض والتخلص من فقرهم، باستخدام الوسائل العملية والتقنيات الحديثة في زيادة إنتاجهم الزراعي.

واليوم يعمل جل خريجي المدارس في قطاع الصناعات التحويلية، ويمتلكون المهارات اللازمة للعمل في قطاع الإنتاج، وسيصبحون في المستقبل مديري إنتاج قادرون على تطبيق نتائج الأبحاث العلمية في عملية الإنتاج والتطوير.

يؤدي التعليم المهني دوراً مهماً في تنمية قطاع الخدمات، وفي دراسة إحصائية أعدتها المؤسسة الوطنية للسياحة تبين أن أكثر من 80% من العاملين في فنادق معدة لاستقبال الضيوف والزائرين الأجانب قد تخرجوا في معاهد مهنية. وكذلك أظهرت إحصائية أخرى أن نسبة العاملين الخريجين من المعاهد المهنية بلغت إلى 85.1% و85.4% و88.6% من الخريجين كافة في السنوات 1999، 2000، 2001 على التوالي.

وقد قرأت منذ عهد قريب مقالاً يحمل عنوان «معهد التدريب التقني العالي في جينجيانغ يُخَرِّجُ أفضل مندوبي المبيعات»، وقد تحدث التقرير عن الإقبال الشديد للمؤسسات التجارية والخدمية على توظيف خريجي هذا المعهد إلى حد أن مؤسسات صناعية وتجارية كثيرة عمدت إلى التعاقد مع طلاب هذا المعهد قبل تخرجهم نظراً لحاجة السوق المحلية إلى عمال ماهرين.

والجدير بالذكر أن جميع طلاب المعهد في عام 2003 كانوا يتلقون تدريباً ميدانياً منذ تشرين أول/ أكتوبر 2002، والطريف في الأمر أن مدير مكتب توظيف الخريجين في المعهد المذكور اضطر لإغلاق مكتبه أكثر الوقت للتفرغ لاجتذاب طلاب جدد إلى المعهد، نظراً للإقبال المتزايد على استخدام طلاب وخريجي معهده.

وقد قام المعهد بإجراء مسح لاحتياجات السوق المحلي، وعلى ضوء النتائج التي توصل إليها أَقْدَمَ على تعديل المناهج والمقررات بحيث تُمَاشِي التخصصات والمهارات التي تلبي الاحتياجات الآنية للسوق خاصة في مجال الكهرباء والميكانيك والإلكترونيات. ويقدم المعهد اليوم 20 برنامجاً لإعداد مهنيين متخصصين في استخدام المعدات الصناعية والتلحيم بالإضافة إلى فنيين في مجال الهندسة الكهربائية والإلكترونية.

وكان هذا المعهد أول مدرسة مهنية تفتتح دائرة لتشغيل طلابها وخريجيها، وعينت مديراً لهذه الدائرة وهو أحد موظفي المعهد ممن ثبتت كفاءتهم. ويقول رئيس المعهد: إنه في السنوات الأربع الأخيرة ارتفع عدد الخريجين الذي تم توظيفهم، بنسبة تفوق 98% سنوياً.

لاشك أن المعرفة النظرية لخريجي المعاهد المهنية لا ترقى إلى مستوى خريجي الجامعات، ولكن خريجي المعاهد المهنية يمتلكون المعرفة التقنية والمهارات العملية التي تمكنهم من تسيير الخطوط والإنتاج دون الحاجة إلى مشرفين، فضلاً عن كونهم مهيئين أكثر من غيرهم للعمل في بيئة صناعية تحتاج إلى أيدٍ عاملة مدربة.

وعودةً إلى المعهد التقني العالي في جينجيانغ، فقد قامت عدة مؤسسات ومنشآت صناعية بدعوة طلبة المعهد المذكور إلى حضور دورات تدريبية في المصانع التي تديرها هذه المؤسسات تمهيداً لاستخدام بعضٍ منهم بعد تخرجهم. ونظراً لقلة الأيدي العاملة الماهرة من خريجي المعاهد المهنية فقد عمدت بعض الشركات إلى دفع رواتب شهرية لا تقل عن 1000 يوان للخريجين في أثناء مدة تدريبهم بعد التحاقهم بالشركة وقبل تعيينهم رسمياً.

والجدير بالذكر أن أحد المسؤولين في إدارة المعهد المشار إليه دعا مراسلاً صحفياً لمرافقته لزيارة إحدى الشركات، فانتهز مدير الموظفين الفرصة ليطلب من هذا المسؤول أن يرسل خريجي معهده لعام 2004 إلى الشركة؛ لكي يجري تدريبهم وتزويدهم بالخبرة اللازمة. وقد أدهشتني هذه الواقعة بعد أن تبين لي صدقها، وهذا يؤكد ما كنت أقوله من أن المدرسة المهنية يجب أن تكون متناغمة مع احتياجات سوق العمل، بمعنى أن تدرس فيها تلك المهارات التي تضمن لخريجيها الحصول على عمل.

7.2 دور مدارس التعليم والتدريب المهني في تعزيز قوى الإنتاج

المحاور:

لماذا يجب أن يحظى التعليم المهني بهذه الأهمية البالغة في تقديرك؟

لي لانكينغ:

إن التعليم المهني في أي بلد أمر ضروري، وليس بأقل أهمية من الإنتاج المادي الذي لا يمكن للحياة أن تستمر من دونه. وبالرغم من أننا نسير في اتجاه ما يسمى اقتصاد المعرفة وفي مقدمته تكنولوجيا المعلومات والهندسة الحيوية Bioengineering، إلا أن هذه التكنولوجيات تُعْنَى بالدرجة الأولى بجودة السلع المنتجة وتكاليفها، ولكننا في نهاية المطاف لا نستطيع الاستغناء عن العنصر البشري مهما تقدمنا في أتمتة الصناعة والإنتاج.

يؤدي العلماء والباحثون وأساتذة الجامعات دوراً مهماً في تقدمنا الاجتماعي والاقتصادي، وهم عماد تطورنا الحضاري على الصعيدين المادي والروحي، ولا يمكن لأي شريحة اجتماعية أخرى أن تحل محلهم.

إن العلم والتكنولوجيا مكونان أساسيان من مكونات قوى الإنتاج قبل تسخير هذه القوى للإنتاج الفعلي أو بعبارة أخرى تطبيق العلم والتكنولوجيا في عملية الإنتاج، وهذا يتطلب مشاركة وتعاوناً في مختلف قطاعات الإنتاج. ثم إن المجتمع يحتاج دوماً إلى خبرات ومهارات متنوعة، ولا يمكن بحال من الأحوال الاكتفاء بفئة من المختصين أو المهنيين في مجال معين حتى لو كان جميعهم يحملون شهادة الدكتوراه.

إن جميع المهن في القطاع الصناعي على الأقل تنقسم إلى قسمين رئيسين: يركز العاملون في القسم الأول على الأبحاث والتصميم، في حين يركز القسم الثاني على التطبيق أو التصنيع، وكلاهما مكمل للآخر، والأفراد الذين ينتمون إلى القسم الأول أو الفئة الأولى هم عموماً من خريجي الجامعات، أما الأفراد الذين ينتمون إلى الفئة الثانية فهم عادة من خريجي المعاهد المهنية والصناعية، فالإنتاج الجيد. لا شك أن الإنتاج الجيد ينطلق من التصميم الجيد الذي يسبق عملية التصنيع، وهنا يأتي دور الصناعيين والعمال الماهرين.

عندما استوردنا خط إنتاج مصانع الـ «فولكس فاغن» وهو من تصميم مهندسين ألمان، وشرعنا في تجميع السيارات كان من الواضح أنها لم تكن بجودة السيارات المصنعة في ألمانيا، وذلك لأن عمالنا وفنيينا كانوا دون مستوى نظرائهم الألمان. وقد تم فيما بعد تدارك هذه المشكلة عبر رفع مستوى التدريب المهني والتقني للعمال والفنيين.

إن الصين بلد هائل من حيث عدد السكان، ولم نفلح حتى اليوم في التحول إلى دولة صناعية متقدمة قادرة على المنافسة في الأسواق العالمية؛ لذلك لا بد لنا من تحسين ورفع مستوى التدريب والتعليم المهني تمهيداً لتحديث الصناعة والزراعة.

إن برنامج إصلاح وتطوير التربية والتعليم الذي أقر عام 1993 يشدد على أهمية التعليم المهني باعتباره جزءاً لا يتجزأ من نظام التعليم العام. وفي المؤتمر القومي الثالث حول التعليم الذي انعقد عام 1999 أكد الرئيس (**جيانغ زيمين**) على أهمية «تحقيق النجاح في تطوير التعليم المهني بشتى أشكاله» وأضاف قائلاً: «سيكون النجاح حليفنا إذا أولت الحكومات المحلية التعليم والتدريب المهني اهتماماً خاصاً».

لقد سعت حكومتنا بجد إلى دعم قطاع التعليم والتدريب المهني لعدة أسباب أهمها:

أولاً: إدراك الحكومة بأن نشر التعليم المهني وتوسيع قاعدته يشكل عنصراً مهماً في تحقيق النهضة عبر العلم والتعليم لبناء اقتصاد مزدهر ومجتمع متطور. كما أن انضمامنا إلى منظمة التجارة العالمية سيحتم على مختلف قطاعات الإنتاج التعاون فيما بينها لمواجهة المنافسة الحادة في الأسواق العالمية، وإذا أردنا أن تكون سلعنا ومنتجاتنا منافسة في هذه الأسواق فلا بد لنا من إعداد كفاءات مكونة من مختصين وخبراء، بالإضافة إلى تدريب وتأهيل الملايين من المديرين والعمال المهرة؛ إذ لا يمكن لأي عامل مصنع أن يستخدم التقنيات المتطورة في عملية الإنتاج إذا لم يتلقَ هذا العامل التدريب المهني اللازم، وهذا هو السبيل الوحيد لضمان جودة سلعنا ومنتجاتنا ولتمكيننا من صناعة سلع ومعدات تحظى بشهرة عالمية.

منذ مدة قريبة قرأت تقريراً صحفياً عن مشروع رائد هو الأول من نوعه في الصين لإنتاج إطارات «ميريديان». وبعد أن تم شراء التكنولوجيا والمعدات الصناعية الخاصة لم

تسر الأمور على ما يرام، وَفشِلَ المشروع فشلاً ذريعاً؛ لأن العاملين في المصنع لم يكونوا مهيئين من الناحية التقنية مع المعدات اللازمة، من ثم ذهبت الأموال التي استثمرت هدراً.

ثانياً: لا بد من توسيع وتطوير التدريب والتعليم المهني لدفع عجلة تنمية وتطوير الموارد البشرية وتدريب الأيدي العاملة. إننا نعاني نقصاً في الأيدي العاملة الماهرة والخبرات وتدني الحس الأخلاقي لدى بعض العاملين، وقد أدى ذلك إلى وقوع عدة حوادث في السنوات الأخيرة؛ أضف إلى ذلك التصرفات غير المسؤولة وغير المهنية لبعض العاملين، ولإصلاح هذا الخلل لا بد من الارتقاء بالتعليم والتدريب المهني إلى المستوى اللائق. إن الغاية من التعليم والتدريب المهني هو نقل المعرفة إلى طلابنا ورفع مستوياتهم والعلمية عبر تطبيق سياسات رشيدة ترمي إلى تنمية الإحساس بالمسؤولية والإتقان في العمل وفق معايير الجودة التي يجب أن تبقى دوماً نصب أعينهم.

ثالثاً: إن تطوير التعليم المهني يمثل أحد ركائز تهيئة العامل للاستفادة من فرص العمل المتاحة. وتظهر الإحصائيات أنه في نهاية عام 2002 لم يلتحق بالجامعات سوى 15% من مجموع الطلاب الذين أتموا دراستهم الثانوية، علماً بأن عدد الملتحقين بالجامعات قد ارتفع في السنين الأخيرة. ومن المتوقع في السنين القادمة أن ترتفع أعداد طلاب المدارس الإعدادية الذين سيلتحقون بالثانويات المهنية. ومن جهة أخرى سيترتب على إعادة هيكلة القطاعين الصناعي والاقتصادي إعادة تأهيل من العمال الحاليين، وذلك بإقامة دورات تدريبية خاصة؛ كي يتمكنوا من إيجاد فرص إيجاد عمل جديدة.

أما في المناطق الريفية وخاصة تلك التي تنتشر فيها الأمية والتخلف، فعلينا القيام بحملات توعية وتنظيم دورات تدريبية وتعليمية حول طرائق الزراعة الحديثة، وجعل الذين هجروا قراهم ومزارعهم بحثاً عن عمل في المدن، أن يعودوا إلى أراضيهم.

إن عدد الباحثين عن عمل يتجاوز الطلب لا سيما وأن هؤلاء لا يمتلكون المهارات اللازمة في بعض القطاعات، لذلك لا مناص من تطوير التعليم والتدريب المهني كماً ونوعاً باعتباره السبيل الوحيد لتأهيل أو إعادة تأهيل القوى العاملة.

رابعاً: لا جدال أن التدريب والتعليم المهني هو شرط أساسي لمكننة وتحديث القطاع الزراعي. وقد كان تطوير المناطق الزراعية ولا يزال حجر الأساس في التنمية الاجتماعية

والاقتصادية في الصين. وما من شك أن تصنيع الزراعة سيسهم في زيادة الإنتاجية الزراعية، ومن ثم زيادة دخل المزارع وتوفير الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي في الأرياف.

ففي بعض المناطق الريفية ما زال الكثيرون شبه أميين أو أميين، فضلاً عن أن جلهم يفتقر إلى المعرفة والتقنية الزراعية والإدارية. لذلك يجب أولاً وقبل كل شيء توفير التدريب والتعليم المهني لسكان الأرياف وتوعية المزارعين ودفعهم إلى تطبيق أساليب علمية وتقنيات حديثة من شأنها زيادة الإنتاج الزراعي، وأخص بالذكر المناطق الغربية المتخلفة.

7.3 إصدار التشريعات الخاصة بالتعليم المهني

المحاور:

في 15 أيار 1996 أثناء انعقاد الدورة التاسعة عشرة للجنة الدائمة في مجلس الشعب تبني قانون التعليم المهني، وقد وصفته بأنه أحد الركائز الأربع الذي يقوم عليها نظام التعليم الصيني، فماهي أبرز صفات هذه التشريعات؟

لي لانكينغ:

لكي نضع الأطر القانونية التي تنظم التعليم المهني كان لا بد من إصدار تشريعات خاصة بهذا الشأن، وأثارت اهتمامي مقالة عن التعليم المهني في ألمانيا نشرت في مجلة الاقتصاد العالمي في شهر تموز/ يوليو من عام 1993، فبادرت إلى إرسال المقالة بعد قراءتها إلى وزارة التعليم آملاً بذلك حث المسؤولين على الإسراع في صياغة التشريعات المطلوبة.

وفي أيلول/ سبتمبر من العام نفسه أتيح لي الاطلاع على القوانين والأنظمة الخاصة بالتعليم في الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك الاستفادة من اقتراحات بعض الأصدقاء الأجانب، ومن ثم اقترحت على وزارة التعليم استخلاص بعض العبر من تجارب الدول الأخرى والمضي في صياغة قانون ينظم التعليم المهني ويلائم الوضع الصيني.

وبعد عدة مداولات ومناقشات توصلنا إلى صياغة مشروع قانون، وبعد مناقشة مسوّدته تم تبنّيه من قبل مجلس الشعب في الثامن من أيار/مايو 1996، وأصبح القانون نافذاً بعد أربعة أشهر من تاريخه.

وبعد أسبوع واحد من المصادقة على القانون عقدنا جلسة لتدارس آليات تطبيق القانون وتعميمه، وفي 7 حزيران/يونيو عقد في بكين مؤتمر ثانٍ لمناقشة وضع التعليم المهني، وهو الثالث من نوعه منذ بدء مسيرة الإصلاح والانفتاح التي انطلقت عام 1978.

وكان هدف المؤتمر عرض القانون الجديد وكيفية تطبيقه على أرض الواقع، وقد أشار رئيس الحكومة لي بينغ في خطابه المهم إلى أن تطوير التعليم المهني يمثل أحد أهم عناصر المشروع الوطني لرفع المستوى المهني والتقني للعاملين في جميع أرجاء الصين وكذلك الاستثمار الجيد والمحسوب للموارد البشرية وتحسين جودة المنتجات، كما حث رئيس الحكومة على العمل بجد وعدم التقاعس في تنفيذ هذه المهمة.

وقد تحدثت في هذا المؤتمر والمؤتمر الذي سبقه وذكرت أربع نقاط أوجزها فيما يلي:

النقطة الأولى: يعرّف القانون الجديد التعليم المهني أحد أهم مكونات التعليم كلِّه. وعلى جميع المسؤولين أن يدركوا ذلك ويعملوا من هذا المنطلق. فالتعليم المهني يعد من ضرورات التنمية الاقتصادية وهو الذي يقرر جودة المنتجات والخدمات ويؤثر في قدرتنا التنافسية وفي الوقت نفسه تولد فرص عمل جديدة فضلاً عن أنه يحقق الاستقرار والتقدم الاجتماعي وبصورة خاصة في المناطق الريفية المتخلفة التي تتطلب خطة تنموية شاملة انطلاقاً من إرساء دعائم التعليم المهني وتعليم الكبار.

يجب أن يتسلح مزارعونا بالعلم والمعرفة؛ لذا ينبغي دفع عجلة التعليم المهني في مرحلة الدراسة الثانوية وما بعد الثانوية؛ كي نستطيع تلبية الطلب على الأيدي العاملة الماهرة في القطاعات كافة وعلى مختلف المستويات.

النقطة الثانية: إن مفتاح تطبيق القانون الجديد يكمن في تحديد مسؤوليات وواجبات مختلف الدوائر والهيئات الحكومية وتنسيق جهودها في إدارة ورعاية التعليم المهني. ويفترض أن تؤدي زيادة الإنفاق على التعليم المهني إلى دفع الحكومات المحلية إلى التحرك بسرعة والمضي قدماً في جعل تطوير التعليم والتدريب في صلب خطة التطوير الاقتصادي والاجتماعي، وثانياً: الإدارة والإشراف على مجموعة من المدارس المهنية النموذجية.

النقطة الثالثة: يجب أن تتضافر جهود جميع الدوائر والمؤسسات الحكومية والنقابات والمنظمات غير الحكومية والمواطنين عموماً لرعاية التعلم المهني ودعمه؛ ولكي تثمر هذه الجهود يتعين على الدولة اتخاذ خطوات إضافية مثل توفير قطع الأرض وتقديم التسهيلات والمعدات والخبرات المطلوبة، وأن تتولى الإشراف والإرشاد اللازم لضمان حسن الإدارة وجودة التعليم.

النقطة الرابعة: لكي يحقق قانون التعليم والتدريب المهني غايته، ينبغي أن نكون على استعداد لتخطي العقبات التي قد تعترض عملية التطوير المهني وتجعله ينحرف عن مساره الصحيح. لذلك يجب على جميع الدوائر الحكومية المعنية مباشرة نشرِ التعليم المهني لاتخاذ الإجراءات، ووضع الخطط التي تضمن تطبيق مواد القانون. بالإضافة إلى ما تقدم ينبغي التنبه لأمور أخرى مثل رصد الأموال اللازمة وجمع التبرعات واستدراج المعونات المالية، وأخيراً وليس آخراً العناية بالتدريب الميداني للمدرسين العاملين في المعاهد المهنية في الإطار الذي رسمه القانون.

7.4 ربط التعليم النظامي (العادي) بالتعليم المهني

المحاور:

كيف ترى العلاقة بين التعليم في الثانويات المهنية والتعليم في الثانويات االنظامية؟

لي لانكينغ:

ثمة فرق جوهري بين الثانويات النظامية والثانويات المهنية، وهو أن المدارس الثانوية تركز على المعرفة النظرية في مختلف المواد، ومناهجها تكاد لا تتغير، كما أنها ليست ذات طابع تخصصي، في حين أن المعاهد المهنية تعنى بتدريس النظريات الأساسية وتدريب الأيدي العاملة على القيام بوظائف محددة تمليها طبيعة العمل.

إن ما يعنينا هو تطوير هذين النموذجين من التعليم في المدن والأرياف، وفي اعتقادي إنه من الحكمة أن تكون تنمية متوازية؛ بمعنى أن تنمية التعليم العادي يجب ألا تتم بمعزل عن تنمية التعليم المهني بالقدر نفسه، كي يتسنى لنا إعداد أفراد قادرين على تلبية احتياجات المجتمع.

صحيح أن كلا النموذجين مختلفان ولكنهما يتقاطعان ويتفاعلان، وهذا التفاعل ضروري؛ فالطالب الطموح المتخرج في معهد مهني سيرغب في تعميق معرفته النظرية ومن ثمَّ سيلتحق بجامعة ما ليتخرج بعدها أستاذاً خبيراً في مهنته.

لذلك أقول بوجوب توفير الظروف والإمكانات التي تعزز التواصل بين التعليم المهني وتعليم الكبار من جهة، وبين التعليم الثانوي وما بعد الثانوي والتعليم العالي من جهة ثانية. إن المطلوب تمكين خريجي الثانويات المهنية من متابعة دراستهم في الجامعات أو المعاهد العليا.

إن المقاربة الصحيحة للعلاقة التي تربط التعليم المهني في المرحلة الثانوية بالتعليم الثانوي العادي تقتضي الحفاظ على التوازن بينهما، أما في المناطق المتطورة اقتصادياً فينبغي أن تكون الأولوية في التنمية للتعليم المهني لمرحلة ما بعد الثانوية.

ومن غير المستغرب أن يبقى عدد المدارس المهنية يقل قليلاً من عدد طلاب المدارس الثانوية العادية، والوضع الأمثل هو أن يكون عدد طلاب الثانويات لا يقل أو يزيد كثيراً عن عدد طلاب المعاهد المهنية، وأن يستقر الوضع في الصين على هذا النحو مدة طويلة.

7.5 الثانويات المهنية تحتاج إلى إصلاحات جذرية

المحاور:

لقد أَدَّتْ الثانويات التقنية ومدارس تدريب العمال دوراً مهماً في الصين، ولكن ذلك الدور أخذ يضمحل في أثناء النصف الثاني من تسعينيات القرن الماضي، فما هو تصورك لكيفية إصلاح هذين النموذجين من المدارس؟

لي لانكينغ:

بعد ولادة الصين الجديدة، شرعنا في بناء اقتصاد صناعي بالاعتماد على التخطيط المركزي مستفيدين من تجربة الاتحاد السوفييتي في مجال التعليم المهني، الذي يقوم على ركيزتين: الثانويات التقنية، ومدارس تدريب العمال. وكلتاهما أسهمتا إلى حد بعيد في بناء اقتصادنا الوطني. وقد خّرجت هذه المدارس أعداداً هائلة من العمال المدربين والتقنيين

الذين عملوا في المصانع وإدارة الإنتاج، وشاركوا في الكثير من المشروعات العمرانية، في وقت كان الطلب فيه على العمال المهرة.

وبعد انطلاق مسيرة الإصلاح والانفتاح الاقتصادي والتطور الاقتصادي المتسارع الذي أعقبه ازدياد الطلب على العمالة الماهرة، وتنامي الإقبال على الالتحاق بالمدارس الثانوية والمدارس المهنية لسد احتياجات سوق العمل. ومن ثم أصبح التعليم المهني أكثر تنوعاً مما مضى، وَتوسَّعَ ليشمل المدارس أو المعاهد التقنية التي أنشأت لتعليم وتدريب الكبار.

لقد نشأت هذه النماذج المتنوعة من المدارس في أثناء مراحل تاريخية اتسمت بتحولات اجتماعية واقتصادية في شتى مناحي الحياة. وقد أسست الثانويات التقنية ومدارس العمال في ظل الاقتصاد المخطط، حيث كانت الحكومات المحلية في الأقاليم تحدد أعداد المنتسبين إلى هذه المدارس حيث كان الطلاب يتقاضون رواتب من الحكومة.

وكان الطلاب القادمون من الأرياف يتمتعون بحوافز إضافية تتمثل في تأمين أعمالٍ لهم من قِبَل الدولة بعد التخرج، وقد قامت الهيئات المختصة في حينها بوضع مناهج موحدة للتدريس في هذه المدارس.

لكن الدولة ألغت الحوافز والامتيازات التي كانت تمنحها لطلاب المدارس المهنية المشار إليها بعد الإصلاحات الاقتصادية في إطار السوق الاشتراكي الذي اعتمدته الصين. بَيْدَ أن المدارس المهنية لم تكن مهيأة لهذا التحول، ووجدت صعوبة في التأقلم مع الواقع الجديد، في حين أن الثانويات المهنية كانت أكثر مرونة ومن ثم استطاعت التكيف مع شروط متطلبات اقتصاد السوق الاشتراكي.

وسأضرب لكم مثلاً على ذلك: يوجد في إقليم شيزوان مدرستان مهنيتان إحداهما ناجحة ومزدهرة، وذلك لأنها تصيغ برامجها التخصصية وفق احتياجات السوق المتغيرة، أما الأخرى فكانت تعاني مشكلة أساسية كما اتضح لي بعد تحدثي مع مدير المدرسة الذي اشتكى لي الأوضاع المتردية التي تواجهها مدرسته. أعتقد أن مشكلة هذا المدير في أن مدرسته لم تتطور مع الزمن والظروف الاقتصادية والاجتماعية المتغيرة، واتكلت على الحكومة في كل شيء بدل أن تأخذ زمام المبادرة، والأسوأ من ذلك أن محتوى برامجها الدراسية لم يكن مرتبطاً باحتياجات السوق فضلاً عن طرائق التعليم القديمة وغير المجدية.

إن جميع الثانويات المهنية بحاجة إلى التطوير والإصلاح وخاصة المدارس التقنية ومدارس العمال، والسؤال المطروح هو: كيف تستطيع هذه المدارس المترهلة إن صح التعبير أن تصلح نفسها بنفسها؟

ينبغي بادئ ذي بدء أن تستمر في مجال التعليم المهني وأن تراقب عن كثب المتغيرات في سوق العمل واحتياجات المجتمع. ويجب أن لا تنسى هذه المدارس رسالتها الحقيقية وهذا يعني تجنب محاكاة أو تقليد الثانويات العادية التي تقيم على سبيل المثال دورات تعليمية خاصة للطلاب الذي يرغبون في دخول الجامعات؛ لأن مثل هذا التوجه ليس من شأن المدارس المهنية، كما أنه ليس من أهدافها. وهنا أود الإشارة إلى أن تتعلم من الثانويات الحديثة التي أنشئت حديثاً.

إن إحراز أي تقدم في المجال الاقتصادي والعلمي والتكنولوجي مرهون بتعميق إصلاح التعليم المهني في المرحلة الثانوية وتطوير طرائق التعليم ومحتوى المقررات والمناهج التدريسية وفقاً لاحتياجات الفرد والمجتمع كلِّه، وإلا فلن ننجح في تخريج كفاءات مؤهلة قادرة على إيجاد عمل بعد تخرجها.

ومن ناحية أخرى فقد حان الوقت لإعادة تسمية ما نطلق عليه اليوم اسم الثانوية المهنية، لقد كان لدينا في السابق ثلاثة أنواع من المدارس المهنية واليوم لدينا أربعة، وأعتقد بوجوب إطلاق اسم المعاهد التقنية والمهنية على هذه المدارس، إن توحيد الأسماء أو التسميات جزء من عملية الإصلاح؛ لأنه يسهل تنفيذ الإصلاحات المرجوة والتخطيط، بما في ذلك إعادة توزيع الموارد التعليمية وإزالة الحواجز التي تعيق عملية إصلاح التعليم المهني.

7.6 لا يوجد ما يمنعُ تحويلَ الجامعاتِ المتوسطةِ وجامعاتِ تعليمِ الكبارِ إلى معاهدَ مهنيةٍ عليا.

المحاور:

لدينا في الصين مؤسسات أكاديمية تعرف بـ«الجامعات المتوسطة»، فكيف نقيم مثل هذه المؤسسات؟ وقد سبق لك أن دعوت إلى تحويل هذه المؤسسات وجامعات تعليم الكبار إلى معاهد مهنية عليا لمرحلة ما بعد الثانوية، وما هي الأسباب الموجبة لهذا التوجه؟

لي لانكينغ:

قبل الثورة الثقافية (1966-1976) كان الدور الأساسي للجامعات المتوسطة يتمثل في تخريج أيدٍ عاملة ماهرة، ثم تطورت إلى «جامعات شبه نظامية» إذا صح التعبير، ولكن هذه الجامعات لم ترقَ يوماً إلى مصاف الجامعات الحقيقية بالمعنى المألوف، وفي الوقت نفسه لا يمكن أن نصنفها بالـ «المعاهد المهنية».

لذلك كان خريجو هذه الجامعات يجدون صعوبة في إيجاد وظائف مناسبة، ونظراً لتفاقم هذه المشكلة بات من الضروري إيجاد حل جذري لها، وقد ارتأينا تحويل الجامعات المتوسطة إلى معاهد مهنية عليا تدرس فيها مختلف المهارات على الصعيدين النظري والتطبيقي، وتلبي احتياجات سوق العمالة.

فعلى سبيل المثال بقي المعهد المهني العالي للكهرباء والميكانيك في شنغهاي عدة سنوات يمد سوق العمل بالعمالة الماهرة، وجدير بالذكر أن زهاء 43% من خريجي هذا المعهد قد تم توظيفهم في أثناء السنوات الماضية، وكان ترتيب المعهد في المرتبة الثانية في هذا المجال وفق دراسة أجريت عام 2003. وقس على ذلك المعهد التقني للصناعات النسيجية في بلدة نانتونغ وكذلك المعهد المهني للتقانة في شنزهن. ومن الأمثلة الأخرى الجامعة المتوسطة في لاونينغ التي تحولت إلى المعهد الزراعي المهني الذي اختص بتدريب وتأهيل خبراء وفنيين في مجال الزراعة.

تبين هذه الأمثلة أن نجاح معاهد التدريب المهني يكمن في تحديد أهدافها التعليمية وتحديث برامجها التدريسية وطرائق التعليم لكي تتمكن من تلبية احتياجات سوق العمل. وقد طلبت منذ عهد قريب من بعض المسؤولين في الأقاليم القيام بزيارة تفقدية لعدد من المعاهد التقنية والمهنية وأفادوني بأن الأمور تسير على خير ما يرام.

لقد اقترحت أن تسعى كل جامعة إذا كانت ظروفها تسمح بذلك إلى أن تشرف على إدارة الجامعات المتوسطة وجامعات تعليم الكبار ريثما تتحول هذه المؤسسات تدريجياً، وبعد إعادة هيكلتها إلى معاهد مهنية عليا. ولكني ما زلت أخشى أن تتحول هذه الجامعات إلى معاهد مهنية وتقنية بالاسم فقط.

إن ما أود التشديد عليه هو أن الجامعات قادرة على إدارة وتوجيه المعاهد المهنية والتقنية إذا نسقت جهودها وسخرت بعض طاقاتها ومواردها لهذا الغرض، بما في ذلك تكليف فريق من الإداريين والأكاديميين المتخصصين في القيام بالمهام التدريسية والإدارية المطلوبة لإدارة تلك المعاهد. ولا أعتقد أن هذا بالأمر العسير على الجامعات الكبيرة شريطة أن يتم ذلك في إطار الأنظمة والقوانين الخاصة بقطاع التعليم والتدريب المهني.

إن تطوير التعليم المهني في مرحلة ما بعد الثانوية يتطلب استثماراً لا يستهان به، وهذا لا يعني بالضرورة العودة إلى نقطة الصفر والبدء من جديد، وإنما إعادة هيكلة الجامعات المتوسطة القائمة حالياً وكذلك جامعات تعليم الكبار تمهيداً لتحويلها إلى معاهد مهنية عليا. كما أنه بوسعنا الاستفادة من المنشآت والمعدات القديمة، ويقيني أن هذه المعاهد المهنية ستكون قادرة على تلبية احتياجات سوق العمل أو الدخول في شراكة مع مؤسسات تجارية أو صناعية.

ولكي يتم هذا التحول دون إحداث بلبلة، أقترح أن يستمر طلاب الجامعات المتوسطة وجامعات تعليم الكبار في أثناء المدة الانتقالية في اتباع البرامج المطبقة حالياً والبدء بتطبيق النظام الجديد على الطلاب الجدد، وأعود لأشدد مرة أخرى على ضرورة مفهومنا للتعليم الذي يجب أن يشمل التعليم والتدريب المهني في مرحلة ما بعد الثانوية.

7.7 تسريع تطوير التعليم المهني لخريجي الثانويات

المحاور:

دأبت الصين على إيلاء التعليم المهني في المرحلة الثانوية عناية أكبر من عنايتها بالتعليم المهني ما بعد الثانوي، ولكننا بدأنا نشهد في السنوات الأخيرة اهتماماً متزايداً بالتعليم المهني لخريجي الثانويات، فكيف تفسر هذا التحول وماهي دلالاته؟

لي لانكينغ:

في واقع الأمر إن التعليم المهني بعد الثانوي ليس جديداً في الصين، ولدينا مدارس عريقة في هذا المضمار، ويوجد في بعض الأقاليم كليات مهنية أو لِنَقُلْ جامعات مهنية تمتد الدراسة فيها مدة سنتين.

كانت إستراتيجينا في التسعينيات تطوير التعليم المهني لخريجي الثانويات مما استدعى إعادة هيكلة الجامعات المهنية، والوسطى، وجامعات تعليم الكبار. وفي الوقت نفسه رفع مستوى بعض المعاهد المهنية العالية. وفي أواخر التسعينيات قررنا تحويل القسم الأكبر من المخصصات المالية المرصودة للجامعات إلى قطاع التعليم المهني العالي (أي مابعد الثانوي).

إن النمو الاقتصادي القوي الذي تشهده الصين يتطلب إعداد كفاءات علمية وتقنية في شتى الحقول، كما أن تطوير التعليم المهني في مرحلة الدراسة الثانوية لا يكفي بمفرده في الوقت الذي تزداد فيه أهمية تطوير التعليم المهني في المرحلة ما بعد الثانوية.

وقد بدا لي وقتئذٍ أننا بحاجة لإعادة النظر في إستراتيجيتنا حول تطوير التعليم المهني بوجه وعام، ويجب أن تبقى الأولوية لتطوير التعليم المهني الثانوي وفي الوقت نفسه تسريع عملية تنمية وتطوير التعليم المهني في المرحلة ما بعد الثانوية، على أن يتم ذلك بصورة تدريجية خطوةً خطوة بدءاً بالمناطق أو الأقاليم التي هي أكثر تطوراً من غيرها، والسبب في ذلك هو الحقيقة الآتية:

قبل عام 1998، لم يتمكن أكثر من نصف خريجي المدارس الثانوية الانتساب إلى جامعة، وانخفضت هذه النسبة إلى 40% في عام 1999، وهذا يعني أن عدداً لا يستهان به من خريجي الثانويات سيكون ملزماً في معظم الحالات إلى اللجوء إلى المعاهد الثانوية المهنية، وبهذا تكون دراستهم الثانوية في السنوات الثلاث الأخيرة قد ذهبت هدراً.

وهنا تجدر الإشارة إلى أَنَّ جل خريجي الثانويات بعد عام 1996 ينتمون إلى أسر تلتزم بسياسة الطفل الواحد الذي ينص عليها القانون، ومن ثم فإن فشل هؤلاء الطلاب في دخول الجامعة عرّضهم وعرّض أسرهم لضغوط كبيرة. فالأسرة بطبيعة الحال تريد لابنها الوحيد النجاح والتفوق ودخول الجامعة ومن الطبيعي أن ينتابها القلق إذا رسب ابنها في امتحانات القبول في الجامعة، وأصبح عالة على نفسه وعلى أسرته وربما على المجتمع، لذلك ينبغي تدارك هذا الموضوع الخطير ومعالجته بسرعة.

إن التعليم المهني لخريجي الثانويات جزء لا يتجزأ من التعليم العالي، فهو يتيح الفرصة لأولئك الذي لم يتمكنوا من الالتحاق بالجامعة لاستكمال دراستهم. أما فيما يخص خريجي

المدارس الإعدادية فأمامهم أحد خيارين: إما الالتحاق بثانوية مهنية أو متابعة دراستهم في مدرسة ثانوية عادية، وفي كلتا الحالتين يمكنهم لاحقاً متابعة دراستهم في جامعة ما أو الانتساب إلى أحد المعاهد المهنية.

قد يرى بعضهم أن وجود جامعات مفتوحة وجامعات تدرس بالمراسلة، لمن لم يحالفه الحظ في امتحانات القبول في الجامعة يستطيع أن يتابع دراسته في المنزل. وهذا في اعتقادي ليس حلاً؛ لأن الجامعات التي تدرس بالمراسلة تستهدف بالدرجة الأولى الموظفين وغيرهم من العاملين في مختلف القطاعات، ومن المستبعد أن يلجأ الراسبون في المدارس الثانوية إلى مثل هذه المؤسسات التعليمية.

لذلك أرى من الأفضل أن نوفر لهم مساراً آخر، يتمثل في الانتساب إلى المعاهد المهنية العليا، وعليه أقترح إنشاء المزيد من المعاهد المهنية العليا لاعتبارات عملية، والغرض هنا ليس حل مشكلة الراسبين في امتحانات القبول في الجامعات إنما جعل التعليم المهني في المرحلة ما بعد الثانوية خياراً منطقياً حتى لأولئك الذين أنهوا دراستهم الثانوية بنجاح.

إن أهمية التعليم المهني تكمن في تدريب وتأهيل أعداد كبيرة من المختصن والفنيين الذي يحتاج المجتمع إلى خدماتهم ومهاراتهم، وهذا بدوره سيسهم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتقليص عدد الباحثين عن عمل.

بعد تدارس الوضع مع وزارة التعليم والجهات المعنية الأخرى، قررنا المضي قدماً في دعم التعليم المهني لخريجي المدارس الثانوية بدءاً من توحيد المسميات، بحيث بات الاسم الرسمي للمدارس المهنية للمرحلة ما بعد الثانوية «الكلية المهنية التقنية» للتنويه عن أن هذه المدارس تأتي في إطار التعليم العالي بالرغم من طابعها المهني.

عندما شرعنا في تشكيل الكليات المهنية درسنا تجارب بعض البلدان الأجنبية في هذا الميدان وكان من ضمن تلك الدول الولايات المتحدة الأمريكية. وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية جرى تسريح أعداد كبيرة من الجنود والعسكريين، لتشغيل هذه العمالة الفائضة أنشأت مراكز خاصة للتعليم والتدريب المهني لحل مشكلة البطالة.

وقد حققت هذه المراكز النتائج المرجوة قبل أن تتحول إلى معاهد مهنية أو كليات مجتمع، وهي كليات أهلية يدرس فيها ثلاثة برامج أو مناهج: برنامج التعليم المهني، وبرنامج يمتد لسنتين يكافئ ما يتعلمه طلاب الجامعات في السنتين الأوليتين. وقد حققت بعض هذه الكليات نجاحاً كبيراً إلى حد أن بعض رؤساء شركات كبيرة يرتاد هذه الكليات لتجديد معلوماته وكذلك بعض الحائزين على شهادة الدكتوراه.

وجدير بالذكر أن عدداً غير قليل من خريجي الثانويات يفضل إكمال دراسته في مثل هذه الكليات ومن بعدها الانتقال إلى جامعة نظامية، حيث تحسب له السنتان اللتان قضاهما في الكلية. وأنا أرى أن نتبع نهجاً مماثلاً بحيث يستطيع خريج أي معهد مهني وتقني أن يتابع دراسته في جامعة ما شريطة أن تحسب لهم السنوات الدراسية التي قضوها في المعهد المهني.

المؤلف أثناء زيارته الكلية المهنية التقنية في تشانغتشون (إقليم جيلين).

والآن كيف ومن أين ننطلق في إرساء قواعد التعليم المهني في بلادنا؟ من المنطقي والمفيد في ظل ظروف الصين الحالية أن نركز جهودنا، وأن نستخدم مواردنا في بناء عدد من

المدارس النموذجية في المدن الكبيرة والمتوسطة الحجم، ويفترض أن تقدم هذه المدارس برامج تدريبية متنوعة على مختلف المستويات مع الأخذ في الحسبان احتياجات المدن والأرياف لشتى المهارات المهنية.

وأذكر أنه في أثناء جولة تفتيش -زرت فيها مدينة تشانغ تشن الواقعة في شمال شرق الصين- قد أثار إعجابي الكليةُ المهنية والتقنيةُ الجديدة، التي أنشأت بعد دمج تسعة معاهد مهنية قديمة، وقد نجحت الكلية في إيجاد بيئة تعليمية ممتازة، وبفضل المستوى الرفيع للتدريب والتعليم المهني أصبح المعهد قادراً على ضمان إيجاد فرص عمل لنسبة عالية من خريجيها حتى إن الطلب يتجاوز العرض في بعض التخصصات.

7.8 أولوية تخريج أيد عاملة ماهرة وتقنيين رفيعي المستوى

المحاور:

أثيرت في السنوات القليلة الماضية تساؤلات حول توافر العدد الكافي من التقنيين في قطاع الإنتاج؛ إذ يبدو أن التنمية في هذا المجال لم ترتقِ بعد إلى مستوى طموحاتنا التي ترمي إلى جعل الصين دولة صناعية كبرى، فنود أن نعرف رأيك حول هذه النقطة.

لي لانكينغ:

إن الصين اليوم في عداد البلدان الصناعية الكبرى، وتحتل المرتبة الرابعة عالمياً في إنتاج السلع ذات القيمة المضافة، ويشكل قطاع الإنتاج 40% من الناتج المحلي الإجمالي و50% من العائدات الضريبية. وبالرغم من أن الصين تعد من الدول النامية إلا أن جودة منتجاتنا الصناعية لا تضاهي جودة منتجات الدول الصناعية الكبرى، ويرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى قلة عدد التقنيين المؤهلين لا سيما في مجال التكنولوجيات المتقدمة المستخدمة في الصناعات الحديثة.

إن إنتاجية اليد العاملة في وطننا لا تتعدى 5% من إنتاجية اليد العاملة في البلدان الصناعية المتقدمة، هذا على مستوى الفرد، وَحَسَبَ تصنيف منظمة التنمية الصناعية

التابعة للأمم المتحدة IDO تحتل الصين المرتبة التاسعة والخمسين بين الدول من حيث توافر الأيدي العاملة الماهرة. وهنا تجدر الإشارة إلى أن العمالة الماهرة في الدول المتقدمة تشكل 65% من مجموع القوى العاملة، في حين أن أمثالهم في الصين لا تتجاوز نسبتهم 5% وهذا أمر يدعو إلى القلق.

إن تطوير وانتشار التقنيين من ذوي المهارات العالية يؤثر على نحوٍ مباشر على جودة منتجاتنا وقدرتنا التنافسية التي تتطلب الاستثمار الجيد للتكنولوجيات الحديثة في عملية الإنتاج والتطوير.

لا بد بداية من توسيع قاعدة التعليم المهني لاستيعاب خريجي المدارس الثانوية، والأهم من ذلك وضع آليات لاستقطاب العمال والتقنيين المهرة ورعاية كبار الخبراء وخاصة المتميزين منهم. كما يجب أن نواصل تطوير وتحسين نظام تقويم المؤهلات المهنية والمعايير التي يستند إليها في منح الشهادات وتقديم حوافز مالية وجوائز تكريمية لحث العمال العاديين وخاصة الشبان منهم على تعلم مهارات جديدة في مختلف المجالات الصناعية وغير الصناعية. ويجب أن نسعى لإيجاد بيئة ملائمة تحتضن العمالة الماهرة وتكافئ المتفوقين في مجال عملهم بحيث يشعر كل منهم بقيمته.

أما فيما يخص إعداد وتأهيل عاملين مهنيين متميزين، فهناك طريقة فاعلة لخصها أحد العمال المهرة في خمس نقاط وهي:

أولاً: أن يحظى تدريب العمالة الماهرة بالاهتمام نفسه الذي يحظى به تدريب المديرين والتقنيين.

ثانياً: رفع مستوى الرعاية الاجتماعية والتعويضات والرواتب التي تصرف للعمال المهرة لاسيما المتميزون منهم.

ثالثاً: تشجيع التواصل الدائم بين العمال المهرة لتبادل الخبرات.

رابعاً: مساعدة العامل على رفع مستواه الثقافي والتعليمي وأن تقوم مؤسسات الدولة بواجبها في هذا الشأن.

خامساً: إن الإنجازات الكبيرة لا تتحقق إلا بوجود تحديات ومعضلات تحتاج إلى حل. لذلك من الضروري أن تتاح الفرصة لكل عامل أن يشارك في حل أي مشكلة تقنية صعبة ضمن اختصاصه، وإلا فلن يتمكن هذا العامل من تنمية مهارته وخبرته ولن يستطع من ثم تعليم غيره.

إن النقاط الخمس المذكورة آنفاً تمثل إرشادات واضحة لعامل متمرس، وأرى أن نأخذها على محمل الجد.

7.9 الاستفادة من تجارب الدول المتقدمة في تطوير التعليم المهني

المحاور:

من المعروف أن الكثير من الدول المتقدمة تعول كثيراً على التعليم والتدريب المهني، فالألمان على سبيل المثال يفخرون بنظام التعليم والتدريب المهني المطبق في بلادهم، فما هي الدروس المفيدة التي يمكن أن نتعلمها من تجارب تلك الدول؟

لي لانكينغ:

إن ما تقوله صحيح. إن الكثير من الدول المتقدمة تولي التعليم والتدريب المهني أهمية خاصة، وألمانيا خير مثال على ذلك. فعندما يجتاز الطالب الألماني مرحلة التعليم الأساسي يجد أمامه خيارين: متابعة دراسته أو الالتحاق بمدرسة مهنية، وكلا الخياران يحظيان بالأهمية نفسها في إطار نظام التعليم العام المطبق في ألمانيا.

وقد خلفت محادثاتي مع المسؤولين الألمان انطباعاً بأنهم بغض النظر عن انتماءاتهم السياسية يفخرون بنظامهم الخاص بالتعليم المهني والنجاح الذي حققه هذا النظام، الذي يقوم على ركيزتين: الأولى: مراكز التدريب المهني التي يديرها القطاع الخاص، والثانية: المدارس المهنية التخصصية. وتتوزع ساعات الدراسة على النحو الآتي 60 - 70% على التدريب المهني، و30 - 40% على التعليم الأساسي والنظري.

ويلزم القانون الألماني عموماً الشركات والمؤسسات الصناعية بإنشاء مراكز للتعليم والتدريب المهني، أما الشركات الضخمة فتوفر التدريب المهني للطالب الذي سيلتحق بالشركة بعد إتمام تدريبه بنجاح في مركز التدريب التابع للشركة.

ويتكون البرنامج الدراسي من ثلاثة أجزاء رئيسة: الجزء النظري، الجزء العملي أو التطبيقي، وأخيراً آداب المهنة أو السلوك المهني.

وأذكر أنه في أثناء جولة قمت بها لأحد مراكز التدريب التابع لإحدى الشركات الألمانية، شاهدت أحد المشرفين يدرب طالباً على كيفية استخدام المبرد في صقل قطعة حديدية، وقد دفعني هذا المشهد إلى سؤال مدير المصنع عن جدوى استخدام الطالب لأدوات بدائية في عصر الآليات التي يمكن التحكم بها للقيام بمثل هذه الوظائف؟ فأجابني قائلاً: إنَّ على المتدرب المبتدئ أن يتقن المهارات الأساسية أولاً قبل الانتقال إلى استخدام المعدات الصناعية الأتوماتيكية التي لا تتطلب العناء والدقة في العمل الذي يتطلبه استخدام معدات بدائية نسبياً. ولعل الهدف الأهم الذي أشار إليه مدير المصنع هو تنمية روح الإتقان في العمل والدقة في الأداء.

قد تبدو المعدات الصناعية الأوتوماتيكية سهلة الاستعمال ولكِنَّ أي هفوة تنجم عن الإهمال قد تتفاقم وتتحول إلى مشكلة كُبْرَى، بعد ذلك دعانا مدير المصنع لمشاهدة قطع صنعها الطلاب بأيديهم مستخدمين أدوات ومعدات قديمة، وقد أذهلتنا جودة الصنع والإتقان البالغ إذْ بدا من المستحيل إيجاد عيب واحد في أي من القطع المعروضة.

لقد جعلني مدير هذا المصنع أدرك مدى تخلفنا وأن الطريق أمامنا ما زال طويلاً، وأذكر في هذا السياق زيارة قمت بها لأحد مصانعنا حيث راقبت عن كثب عاملاً يعالج دولابَ مُسَنَّنٍ لجهاز دقيق بين يديه، وفيما كان منهمكاً في عمله أخبرني أن مثل هذا العمل يحتاج إلى دقة فائقة، وقبل أن يتم حديثه رمى الترس في حاوية معدنية مما دفعني إلى سؤاله عن القطعة التي رماها قائلا: هل أنهيتها، فانعقد لسانه وارتبك.

وكنت يوماً أتفقد مصنعاً للمواد الغذائية المعلبة عندما وقع نظري على عمال يستخدمون رفوشاً لتحميل المعلبات على عربة، وعندما تفحصت عدة علب وجدت سطوحها مخدوشة ومشوهة فلفت نظر مدير المصنع إلى هذا الأمر لكنه تجاهل الموضوع قائلاً: ليس هذا بالأمر المهم ثم إنه لن يؤثر على جودة الطعام.

ولقد لاحظت أكثر من ظاهرة من هذا القبيل في المعارض الصناعية، إذْ شاهدت أجهزة دقيقة مصنوعة بطريقة رديئة للغاية لا تنم على حرفية عالية، وأستطيع أَنْ أَسُوْقَ أمثلة كثيرة عن سوء الصنع وتدني الجودة.

أقول ذلك لأبين أنه لا تزال هناك فجوة بيننا وبين الدول الصناعية المتقدمة، وقد يرجع ذلك لأسباب كثيرة ومتنوعة ولكنها في نهاية المطاف تعود إلى عدم إيلائنا التعليم والتدريب المهني الاهتمام الذي يستحقه.

7.10 ضرورة إعداد كفاءاتٍ من المدرسين المؤهلين في مجال التعليم والتدريب المهني

المحاور:

إن أي مدرس مؤهل في مجال التعليم والتدريب المهني يفترض أن يكون مختصاً في مجال معين وأن يمتلك مهارات معينة، وهذا يعني أن هذا المدرس قد يحتاج إلى مؤهلات أرفع من مؤهلات المدرس التقليدي، فكيف تعاملتم مع هذا الجانب؟

لي لانكينغ:

أحرزنا في أثناء السنوات العشر الأخيرة تقدماً ملحوظاً في تطوير قطاع التعليم والتدريب المهني، وقد شهدت أنا وزملائي الذين عملوا معي تنامياً كبيراً في عدد المدرسين كماً ونوعاً.

فبحلول عام 2002 بلغ عدد المدرسين المهنيين العاملين بدوام كامل 700 ألف مدرس، وقد ارتفعت نسبة المدرسين المؤهلين والمختصين من 40% في عام 1993 إلى 60% في عام 2002 وبالرغم من ذلك ما زلنا بحاجة إلى المزيد من المدرسين المهنيين كماً ونوعاً.

إن المدرس في قطاع التعليم المهني يحتاج إلى مؤهلات تختلف عن مؤهلات المدرس العادي من حيث إن المدرس في المعهد المهني يجب أن يكون مزوداً بالمعرفة النظرية وأن يمتلك المهارات العملية. ولهذا دعونا إلى إشراك خبراء وفنيين من المصانع والمعاهد في تدريب الطلاب عبر دروس عملية.

وأنا شخصياً لدي تجربة في هذا الموضوع، فعندما كنت طالباً في الجامعة أدرس الميكانيك تعلمت أن العجلتين الخلفيتين لا تدوران بالسرعة نفسها عندما تغير السيارة اتجاه سيرها حول منعطف، وهذا يعني أن علبة السرعة يجب أن تكون مصممة على نحوٍ معين، ولكنني أنا وزملائي لم نفهم الكيفية أو الآلية التي تجعل ذلك ممكناً، إلى أن حصلنا على سيارة بويك قديمة فقمنا بتفكيك المحرك تحت إشراف وتوجيهات المدرس وسرعان ما اتضحت الصورة وزال الغموض.

إننا اليوم في عصر تكنولوجيا المعلومات، والدروسُ التطبيقيةُ يمكن أن تتم عبر شاشات الحواسيب، إذْ يمكن رؤية الأشياء بأبعادها الثلاثة والتحكم بالمتغيرات وفق رغباتنا الحاصة في مجال التصميم الهندسي.

يجب أن ندرك أن مؤهلات المدرس العامل في مجال التدريب والتعليم المهني يختلف عن مؤهلات المدرس في المدارس والثانويات العادية. وهنا أود الإشارة إلى أن الخطة التي أقرها مجلس الدولة في عام 1999 بشأن التربية والتعليم في القرن الحادي والعشرين دعت إلى إنشاء خمسين مركز تدريب مهنياً وإلحاقها بالجامعات والكليات المهنية والتقنية وبدعم مالي من الحكومة المركزية.

وقد سعت الحكومة منذ سنوات ولا تزال تسعى لبناء 52 مركزاً لتأهيل وتدريب المدرسين في قطاع التدريب المهني بالإضافة إلى ستة مراكز تدريب نموذجية ملحقة بمؤسسات صناعية يديرها القطاع العام.

وقد تم بناء عدد من مراكز رئيسة للتدريب المهني في المحافظات وربطها بالمراكز الوطنية للتدريب المهني تمهيداً لإنشاء شبكة معلومات مخصصة لتدريب المدرسين العاملين في حقل التعليم المهني.

وفي السنوات الأخيرة أقرت هذه المراكز منح درجة البكالوريوس والماجستير في مجال التعليم المهني وفي الوقت نفسه أسهمت إلى حد بعيد في وضع الأطر الملائمة لتدريب المدرسين المهنيين ورفع مستواهم الأكاديمي.

بالإضافة إلى ما تقدم يجب تحديث المناهج الدراسية والبيئة التعليمية وأن ندرس إمكانية وجدوى التعلم عن بعد، ولقد خصصت الحكومة المركزية مئات الملايين، ونفذت سلسلة من البرامج الناجحة.

7.11 إنشاء مدارس مهنية في القرى والأرياف

المحاور:

من الملاحظ أن جل برامج التدريب التي أشرت تطبق في المدن والبلدات فماذا عن تطبيقها في الأرياف؟

لي لانكينغ:

هذا صحيح. إن أغلب هذه البرامج المهنية تطبق في المدن والبلدات، ومن يرغب من المزارعين فليس أمامه سوى الانتقال إلى المدينة. وبسبب الأوضاع الراهنة في الريف اضطررنا إلى جعل التعليم المهني جزءاً من التعليم الإلزامي. إن ما تنفقه الدولة على هذا القطاع يسهم في زيادة دخل المزارع لكن هذه الزيادة في نهاية المطاف تكون على حساب تطبيق العلم والتكنولوجيا. غير أن المعرفة العلمية والتقنيات الزراعية الحديثة لن تحقق نتائج ملموسة إذا لم يتمكن المزارعون من استخدام الوسائل والتقنيات الحديثة.

وسياستنا تجاه التعليم الريفي منذ بدء الإصلاح والانفتاح تستهدف بصورة خاصة إنشاء مدارس مهنية في الأرياف في إطار خطط شاملة. وقد تم إنشاء مراكز خاصة في جل أرجاء الصين تمهيداً لإنشاء شبكة معلومات لتعليم الكبار في البلدات والقرى.

ففي عام 2002 بلغ عدد مدارس تعليم الكبار 487000 ابتدائية وثانوية وتقنية منها 35700 مدرسة في البلدات، و338000 مدرسة في القرى، وقد دربت هذه المدارس نحو 81.9 مليونَ مزارع أي ما نسبته 16.4 من إجمالي القوة العاملة الريفية، وبلغ عدد المزارعين الذين جرى تدريبهم بين عامي 1998 و2002 زهاء 460 مليون عامل. وفي المدة نفسها أنشئت مدارس نموذجية لتعليم المزارعين مثل مدرسة (كيانيوان جوانغ) التجريبية في

إقليم (شانكزي)، ومدرسة (جانغبانغ) للكبار في إقليم (هيوبي) ومركز تعليم الكبار في بلدة (شينغ غانغ) إقليم (جيانغسو).

وكانت طريقة التعليم والتدريب مرتبطة ارتباطاً وثيقاً باحتياجات المزارعين وأنماط حياتهم، فساعدت في تطوير الإنتاجية الزراعية وفي إعادة بناء الاقتصاد الزراعي. ومن ثَمّ ارتفع دخل المزارع عموماً.

وسهلت هذه البرامج من تحويل الفائض من العمالة الريفية إلى المناطق الحضرية والصناعات الثانوية والثلاثية، وزادت من ثقافة المزارعين العامة وقدراتهم التكنولوجية والعلمية. وباختصار إننا في طريقنا إلى تحقيق التطور الاقتصادي الاجتماعي الشامل في المناطق الريفية.

لقد وجدنا أن التلفاز ومحطات الإذاعة يمكن استثمارها في نشر التعليم المهني وإرشاد المزارعين في مجال العلوم الزراعية والتكنولوجيا. وقد جرى على مدى سنوات تدريب الملايين من المزارعين عبر هذه القنوات التي أطلقنا عليها اسم المدارس الزراعية المتلفزة، وأسهمت هذه المدارس في تلبية احتياجات الريف للأيدي العاملة الماهرة في مجال الزراعة، ووفرت للدولة عائدات اقتصادية تقدر بمئة مليار يوان، كما أسهمت إلى حد كبير في تنمية المجتمعات الريفية. إن من حسنات نشر التعليم المهني بهذا الشكل يؤدي إلى نتائج سريعة باستثمارات أقل.

واليوم لدينا شبكة واسعة من المدارس الزراعية المتلفزة تضم مدرسة مركزية و39 مدرسة في المحافظات و353 مدرسة في مختلف المحافظات و2200 مدرسة فرعية في الأقضية. وقد أدت هذه المدارس دوراً مهماً في تعليم الكبار في القرى والأرياف وتعريفهم بمبادئ العلوم الزراعية القائمة على أسس علمية مجربة. وفي السنوات الأخيرة نشأت في بعض القرى والبلدات مراكز ثقافية لتوفير المعلومات والاستشارات للمزارعين.

7.12 خمسة إجراءات إصلاحية رئيسة في التعليم المهني

المحاور:

ما هي التحديات الجديدة التي تواجه التعليم المهني اليوم؟ لقد دعوتَ لإيجاد أرضية جديدة في التعليم المهني، فما هي توصياتك في هذا المجال؟

لي لانكينغ:

مع بدء انتشار اقتصاد المغرفة وبعد انضمامنا إلى منظمة التجارة العالمية، صرنا نواجه تحديات كبيرة في تأمين احتياجاتنا من المختصين الأكفاء والأيدي العاملة المؤهلة، بالرغم من أننا قطعنا شوطاً كبيراً في مجال التعلم المهني.

وفي المؤتمر الوطني حول التعليم المهني الذي انعقد في تموز/يوليو 2002 أصدر مجلس الدولة مجموعة من القرارات حول مدى التقدم الذي أحرزناه في نشر التعليم المهني وتطويره، وقد تحدث كل من رئيس الحكومة (زهو رونغي) ونائبه (وونانغو) وأنا في هذا المؤتمر، وكذلك وزير التعليم (تشين زهيلي) وفي التقرير الذي قدمته حللت أين أصبنا وأين أخطأنا في مسيرة تنمية التعليم المهني، وتعرضت لمستلزمات إصلاح وتطوير هذا القطاع، وأشرت إلى مجموعة من المشكلات القائمة حالياً التي ينبغي تداركها، أوجزها فيما يأتي:

أولاً: لا تزال بعض المناطق لا تعير التعليم المهني الأهمية التي يستحقها ويميل إلى تفضيل التعليم العادي.

لي لانكينغ يغني أغنية «أيديل وايس» من فيلم «Sound of Music » بالاشتراك مع مدرسي وطلاب الكلية التقنية والمهنية في شينجين- 26 تشرين الثاني / نوفمبر، 1998.

ثانياً: إن المنهجية المتبعة في التعليم المهني بحاجة إلى إعادة نظر من حيث إنها مملة وتفتقر إلى الحيوية، فضلاً عن أن المناهج والمقررات لا تأخذ في الحسبان احتياجات سوق العمل لمهارات معينة.

ثالثاً: يجب أن تكون عملية تطوير التعليم المهني متوازنة في جميع المناطق لا سيما في المناطق الريفية والغربية حيث تسير العملية ببطء.

رابعاً: لا يزال نظام الاعتماد المهني ومنح تراخيص العمل غير مطبق برمته وقد سلطت الضوء على خمسة أمور تحتاج إلى متابعة:

1- التعجيل في الإصلاح الإداري واعتماد نظام إداري متعدد المستويات يخضع لمجلس الدولة. بحيث يكون للإدارات المحلية دور مركزي وبإشراك القطاعات غير الحكومية في إطار خطة شاملة تشرف عليها الدولة. إن النظام الإداري الذي ورثناه يعتمد إلى حد بعيد على التخطيط المركزي، ونحن نسعى منذ البداية للإصلاح والانفتاح على تعديل هذا النظام ولكننا حتى الآن لم نحقق أي قفزة نوعية؛ ولذلك بقي النظام الإداري على حاله من حيث توزيع المسؤوليات وعلاقة الحكومة المركزية بالحكومات المحلية وتعدد الصلاحيات وغياب الرؤية في التخطيط وسوء توزيع الموارد التعليمية وعدم استثمار على نحو صحيح مما أدى إلى تراجع التعليم المهني.

لذلك طالبت بإصلاح أشمل وأعمق يتضمن إنشاء نظام إداري جديد خاص بالتعليم والتدريب المهني ينسجم مع اقتصاد السوق الاشتراكي، كما أكدت على أن يكون لمجالس الولايات دور في صناعة القرارات وإدارة المدارس وتوزيع الموارد على نحوٍ يخدم التطور الاقتصادي والاجتماعي، ويرعى التعليم المهني وتنسيق عمل المديريات كافة ذات الصلة بالتعليم والتدريب المهني.

2- تعميق إصلاح نظام التعليم المهني عبر إشراك شرائح اجتماعية وتجارية فاعليات اقتصادية تؤدي فيه الحكومة دوراً قيادياً. ولتحقيق هذا الهدف لا بد من توافر ستة شروط:

- أن تواصل الحكومات المحلية عملية تطوير مدارس مهنية رائدة ومراكز تدريبية، وأن تشرف على مراكز التدريب المهني الملحقة بالمنشآت الصناعية.
- أن يواصل القطاع العام إدارة المدارس المهنية ومراكز التدريب المهني في مختلف المجالات وفق احتياجات السوق المتوقعة. ويفترض أن يضع أصحاب القرار في قطاع الإنتاج خططاً مستقبلية حول حجم الطلب المتوقع على الموارد البشرية في الأعوام القادمة، ولا سيما الأيدي العاملة الماهرة، وفي الوقت نفسه العمل على تحديث المناهج وإعداد الكتب الدراسية التي تواكب التقدم الحاصل في العلوم والتكنولوجيا.
- منح المؤسسات الصناعية العامة مساحة أكبر من الحرية في اتخاذ القرار في كل ما يتعلق بالتعليم والتدريب المهني، بما في ذلك التعاون مع المدارس المهنية في وضع برامج التدريب واستقبال طلاب هذه المدارس للتدرب ميدانياً.
- بمقدور الحكومات المحلية والهيئات العامة أن تدعم المدارس المهنية الخاصة، أو أن تقدم لها ما يمكنها من تسهيلات.
- السماح لجهات أجنبية مختصة بإنشاء مدارس أو مراكز للتعليم والتدريب المهني بالتعاون مع معاهد التدريب المهني الوطنية أو منظمات محلية أخرى في إطار القانون، وأن يرتبط هذا التعاون - قدر الإمكان- بإتاحة الفرصة للخريجين للعمل في الخارج. وأخيراً ينبغي التحقق من مؤهلات الجهات الأجنبية التي سنتعاون معها في مضمار التعليم المهني للتأكد من أن هذه الجهات أو الشركات تمتلك الخبرة حقاً في المجال الذي تدعيه.
- يجب منح المدارس المهنية حريات وصلاحيات أوسع تسمح لهم بتطوير إمكاناتهم وفق رؤيتهم وتطلعاتهم.

3- تعميق إصلاح التعليم المهني بحيث يواكب التطور الاقتصادي والاجتماعي؛ إذ لا يمكن لقطاع التعليم والتدريب المهني أن يحافظ على حيويته إلا إذا بقي على تواصل دائم مع الاحتياجات المستجدة للسوق والمؤسسات الصناعية والمجتمع كُلِّه، وهذا بطبيعة الحال يتطلب تحديث المناهج والبرامج الدراسية ووسائل التعليم. وفي اعتقادي إن إصلاح التعليم المهني يجب أن يركز على ثلاثة جوانب:

- إصلاح المناهج، والمواد التي تدرس: إن الهدف من التعليم المهني هو أولاً وأخيراً تأمين الأيدي العاملة الماهرة والكفاءات المدربة للقطاعين الصناعي والخدماتي.
- دفع التعليم المهني للاستفادة القصوى من تكنولوجيا المعلومات والوسائل السمعية والبصرية في التعليم بما في ذلك استخدام قواعد البيانات والبرمجيات التعليمية، واستخدام التعليم، عن بعد عبر شبكة الإنترنت.
- يجب أن تكون المناهج المطبقة في التعليم المهني للمرحلة ما بعد الثانوية امتداداً للمناهج المطبقة في الثانويات المهنية وأن نعمل على زيادة نسبة خريجي الثانويات المهنية الذين يلتحقون أو يريدون الالتحاق بجامعات نظامية، هذا إضافة إلى توثيق العلاقة بين التعليم المهني وتعليم الكبار من جهة، وبين التدريس الأكاديمي والتدريب المهني من جهة أخرى، وكذلك الأمر بالنسبة للدراسة بدوام كامل أو جزئي والتدريب قبل وفي أثناء الخدمة. والهدف من ذلك جعل المدارس المهنية جزءاً من النسيج الاجتماعي، وينبغي تجديد معارفهم أو تحسين مهاراتهم العملية، وتشجيع المدارس المهنية على اعتماد نظام تعليمي مرن يقوم على تجميع وحدات دراسية بدل أن يرتبط التخرج بالدراسة لعدد معين من السنوات.

4- إصلاح نظام الموظفين وبناء فريقٍ تعليمي كُفْء، عبر إجراء مسابقات مفتوحة لاختيار المدرسين والإداريين للعمل في المدارس المهنية، وعلينا أيضاً تشجيع المدرسين على متابعة تحصيلهم العلمي في أثناء ممارستهم لعملهم بالتحضير لنيل درجة الماجستير مثلاً. وبالنسبة للأفراد الموهوبين يجب أن ننطلق من المبدأ الآتي: إذا كنا لا نستطيع الاستفادة من مواهبهم الآن فيجب أن نكون مستقبلاً قادرين على الاستفادة من قدراتهم الخاصة في شتى الحقول.

5- تعميق الإصلاح في نظام التوظيف والعمالة، والتأكد من التطبيق الكامل والدقيق لمعايير منح الشهادات المهنية والتراخيص وأذون العمل، ويفترض ألا توظف الشركات أو أرباب العمل إلا الحائزين على شهادات تؤهلهم مزاولة مهنتهم. أما

فيما يخص المهن التي لا تحتاج إلى رخص عمل فيجب أن تكون الأفضلية للحائزين على شهادات مهنية من المدارس ذات الصلة.

يجب أن نسعى لبناء نظام تعليمي يشدد بالقدر نفسه على أهمية المؤهلات الأكاديمية والخبرة العملية، ويجب أن يكون التدريب النظري والعملي الذي يتلقاه الطالب قبل تخرجه.

7.13 دفع التأهيل المستمر لتلبية حاجات الفرد والمجتمع

المحاور:

في عصر التكنولوجيا المتسارعة، أخذت بلدان كثيرة تركز على موضوع التعليم والتأهيل المستمر للموظفين وغيرهم من العاملين، فكيف تعالج الصين هذا الموضوع؟

لي لانكينغ:

ليس لدى الكليات أو الجامعات الصينية برامج خاصة للتعليم المستمر بخلاف بعض الجامعات والكليات في بعض الدول الأجنبية، فعلى سبيل المثال لدى جامعة هارفرد عدد كبير من برامج التعليم المستمر، لعل أشهره برنامج الماجستير في إدارة الأعمال MBA الذي يستقطب الكثير من رجال الأعمال والعاملين في المؤسسات التجارية والشركات الكُبْرَيات.

برنامج MBA يسجل مسؤولي الشركات لبضعة أشهر للدراسة أثناء استراحات العمل، في حين أن جل خريجي الكليات في بلادنا لا يسعون لاستكمال دراستهم وتحديث معرفتهم بعد التخرج. والأخطر من ذلك أنهم يعولون طوال حياتهم على ما تعلموه في أثناء دراستهم الجامعية، وهذه ظاهرة سيئة ينبغي مكافحتها لا سيما في هذا العصر الذي تتقدم فيه العلوم والتكنولوجيا وتتدفق المعلومات بصورة مستمرة، وهو أمر لم يغبْ عن بال الرئيس جيانغ زيمين الذي دعا المسؤولين إلى مضاعفة جهودهم، وشدد مراراً على ضرورة مواكبة التقدم العلمي والتكنولوجي، والسؤال المطروح هو كيف ومن أين نبدأ؟ والإجابة أو إحدى الإجابات تكمن في اتباع نهج التعليم والتأهيل المستمر.

في أثناء عملية إعادة الهيكلة والإصلاح الداخلي التي أطلقها مجلس الدولة في عام 1998 تَمَّ تسريح العديد من سلك الموظفين، وقد اقترحت حينها أن يعود بعض هؤلاء

وخاصة الشباب منهم إلى الجامعات لمتابعة تحصيلهم العلمي واعتبار مدة دراستهم إجازة مدفوعة الأجر.

في أثناء الأزمة المالية الآسيوية عام 1997 اعتدت أن أقرأ يومياً المقالات في الصحف الأجنبية وآراء المعلقين حول الموضوع وأذكر أن بعض المعلقين أفاد بأن التحليلات التي قدمها بعض الباحثين الصينيين عن جذور المشكلة تتصف بالسطحية وأن الحلول التي طرحوها كانت مبهمة وبعيدة عن الصميم.

على المرء أن يدرس المادة جيداً؛ كي يستطيع تحليل أي ظاهرة بدقة وعمق لا أن يعتمد على مقاطع منتزعة من مقالات صحفية من هذه الصحيفة أو تلك، ولكي يسهم أي مسؤول في صنع القرار يجب أن يكون مزوَّداً بالعمل والمعرفة والثقافة العلمية، وهذا أحد الأسباب التي جعلتني أقترح أن تفتتح الجامعات أقساماً للتعليم المستمر. والسبب الآخر هو أن التطورات الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية قد غيرت طبيعة الكثير من الوظائف المعتادة وألغت بعض المهن والمناصب التقليدية. وفي الوقت نفسه برزت وظائف جديدة فرضها الواقع الجديد الذي يتجدد باستمرار نتيجة التطور الهائل الذي يشهده قطاعي الإنتاج والخدمات وانعكاسات ذلك على سوق العمل.

لذلك أدعو إلى إنشاء قنوات للتعليم المستمر والتأهيل الذي يلبي احتياجات السوق، إن مشكلتنا الحالية لا تكمن عموماً في العمالة الفائضة بقدر ما تكمن في نقص الأيدي العاملة الماهرة في بعض القطاعات ووفرة في قطاعات أخرى. فهناك عمال لا يجدون عملاً في حين يوجد أعمال كثيرة شاغرة لا يستطيع القيام بها إلا قلة قليلة لعدم توفر الخبرات، إذن ثمة عدم توازن في العرض والطلب.

ومن جهة أخرى هناك أنواع من الوظائف لا يرضى أحد بمزاولتها، وفي الوقت نفسه هناك أعمال غير منجزة أو مهملة؛ لأن الأفراد المعنيين لا يرونها ضرورية. وبالرغم من أن هذه القضية تمثل مشكلة اجتماعية أكثر مما هي اقتصادية، نستطيع بفضل مشروعنا التربوي أن نعالج هذا الجانب السلبي.

إن جميع أشكال التعليم وهذا يشمل التعليم العادي (التقليدي) والتعليم المهني والتعليم المستمر، بحاجة إلى التكيف مع متطلبات المجتمع وسوق العمل.

ولتعزيز التعليم المستمر وجعله أكثر انتشاراً يمكننا الاستفادة من المرافق العامة المتوافرة مثل المكتبات العامة والمراكز الثقافية والمنشآت الرياضية والمدارس المهنية التابعة للمؤسسات الصناعية وكذلك مراكز التدريب المهني.

وفي المناطق الريفية لا يوجد ما يمنع استغلال المدارس التي تنشر التعليم عن طريق الإذاعة والتلفاز بالإضافة إلى المعاهد الثقافية والتقنية المفتوحة لتعليم الكبار، وأعود وأكرر أن ما يهم هو مضمون البرامج المعدة في مجال التعليم المستمر الذي يجب أن يكون منسجماً مع احتياجات الفرد والمجتمع المعاصر.

7.14 تعليم الكبار يمثل تحولاً من التعليم التقليدي إلى تعليم مدى الحياة

المحاور:

لقد قطع تعليم الكبار شوطاً كبيراً منذ انطلاق مسيرة الإصلاح والانفتاح، فكيف سيكون التطبيق في ظل الأوضاع الجديدة؟

لي لانكينغ:

لقد أسهم تطوير تعليم الكبار في بلادنا في تحويل دفة التعليم من التعليم المدرسي التقليدي إلى تعليم مدى الحياة، إن مبدأ التعلُّم مدى الحياة مطلب اجتماعي.

إن التعليم مدى الحياة يشمل محو الأمية والتدريب المهني وتدريب الموظفين والعمال في أثناء ممارستهم لعملهم وكذلك التعليم في المناطق الريفية، والجامعات المتلفزة أو الجامعات المفتوحة بالإضافة إلى توفير التعليم للذين يدرسون بمفردهم للحصول على دبلوم أو شهادة جامعية. وفي أثناء العشر سنوات الأخيرة استفاد مئات الملايين من الناس من الأشكال المختلفة في تعليم وتدريب الكبار. فقد تم بناء مدارس خاصة لتعليم الكبار في 85% من البلدات وأكثر من 45% من القرى، ويوجد اليوم شبكة تعليمية تغطي الأقاليم المستقلة ذاتياً والبلدات والأقضية في مختلف أنحاء الصين.

أما في يخص تعليم الكبار لنيل شهادة أكاديمية فقد أصبح هذا التعليم متعدد الأشكال وأكثر تركيزاً على التعليم المهني الذي يلبي الحاجات العملية. واليوم تغطي الجامعات

التلفازية والإذاعية 40 محافظة، تَشْمَلُ أقاليم مستقلة ذاتياً وجميعها تمتلك ميزانيات مستقلة لإقامة دورات تعليمية على أسس تجريبية باستخدام الوسائل والتقنيات السمعية - البصرية. وهناك ثمانية عشر إقليماً يدرس موضوع إجراء امتحانات خاصة تمكن الأشخاص الذي يدرسون بمفردهم من نيل دبلوم أو شهادة أكاديمية.

وقد خرجت مؤسسات التعليم العالي للكبار في العقد المنصرم نحو 4.36 ملايين طالب، وعبر المدة نفسها خرجت الثانويات التقنية لتعليم الكبار 9.36 ملايين طالب.

وبعد انعقاد الدورة العامة للجنة المركزية للحزب في عام 1978 تحول الاهتمام نحو التنمية الاقتصادية، ومن ثَمَّ اشتدت الحاجة إلى عدد كبير من الموظفين المختصين، ولتلبية هذه الحاجة الملحة أنشأنا نظام امتحانات خاصاً للأشخاص الذين يدرسون بمفردهم؛ أي الذين لا ينتمون إلى معهد أو مدرسة. وهذه الامتحانات تؤهلهم للحصول على شهادة أو دبلوم في شتى الحقول والتخصصات.

المؤلف يتصدر مجموعة من موظفي الوزارات الذين يدرسون اللغة الإنكليزية ضمن برنامج نظمته وزارة التعليم بالتعاون مع جامعة الدراسات الأجنبية في بكين وبعض المنظمات الأخرى.

منذ عام 1981 حين أنشيء نظام امتحانات الطلاب الذين يدرسون بمفردهم وحتى عام 2002، بلغ عدد الطلاب الذين تقدموا لهذه الامتحانات 100 مليون طالب، وقد نجح

منهم 5.5 ملايين في 388 تخصصاً. ونشهد اليوم انتشار هذا النوع من التعليم الحر الذي لا يحتاج إلى استثمارات كبيرة، فضلاً عن أنه يوفر السبل التي تمكن الشباب والشابات من أن يصبحوا أعضاء فاعلين في المجتمع دون أن يكونوا بالضرورة قد تعلموا في المدارس التقليدية.

وبالرغم من الإقبال الهائل على دخول الجامعات فقد استمر نظام التعليم الحر في ولا سيمّا في المناطق الريفية مثل إقليمي (زهي جيانغ) و (جيا نفسو)، حيث أطلقت مشروعات تجريبية لنشر التعليم الحر، وقد تراوحت نسبة أهالي الريف الذين شاركوا أو استفادوا من هذه المشروعات من 50 - 68% بحسب المنطقة.

أما فيما يخص المستقبل فعلينا مواصلة تطوير نظام التعليم الحر الذي يرمي إلى تأهيل الأفراد الذين يدرسون خارج إطار التعليم التقليدي الرسمي وغير الرسمي، وهنا يمكن الاستفادة من الوسائط التي توفرها التكنولوجيا الحديثة في نقل العلم والمعرفة في مختلف التخصصات وخاصة في المجال الزراعي، وهنا ينبغي أن تكون محتويات المناهج حسب حاجات المشروعات الريفية. و في شباط/ فبراير عام 1978 بدأ التحضير لتأسيس الجامعة التلفازية (الجامعة المفتوحة) بمباركة (دينغ لسيوبينغ)، وبعد ذلك بعام تم افتتاح الجامعة المذكورة، وتبعها 28 جامعة تلفازية وإذاعية، وقد كان هذا بحق مشروعاً رائداً ومنعطفاً مهماً في تاريخ التعليم.

ويجب أن نتذكر أنه في أثناء الثورة الثقافية (1966-1976) تراجع التعليم، وتعرض لنكسة كبيرة، وعملياً تم إغلاق جامعات وكليات عدة. وبعد استعادة (دونغ جاوبنغ) مركزه أُعيد العمل بامتحانات القبول الجامعية وبدأت الجامعات والكليات تستقبل الطلاب من جديد. ولما كانت مسيرة البناء والإصلاح لا تزال في بدايتها لم يعد سوى عدد قليل من خريجي الثانويات لاستئناف دراستهم الجامعية بعد انقطاعهم عنها عِدَّةَ سنوات.

كان إنشاء الجامعات التلفازية والإذاعية لتوفير الفرصة لمن لم يتسن له متابعة تحصيله العلمي، وقد أسهم هذا الإجراء إسهاماً أكبر في مساعدة عدد كبير من الشباب على التعويض عن مافاتهم من فرص الدراسة.

وتفيد الإحصائيات أنه في أثناء عشر سنوات استفاد نحو 15.44 مليون شخص من الجامعات التلفازية ونال نحو مليونٍ وسبع مئة ألف شخص دبلومات من جامعات متوسطة بعد النجاح في الامتحانات المقررة، كما حاز أكثر من 160 ألفاً على شهادة دبلوم من جامعات نظامية.

واليوم أي بعد عشرين عاماً يضم نظام التعليم المفتوح عبر الإذاعة والتلفاز الجامعة المفتوحة التي يديرها التلفاز الصيني المركزي وكلية التيبت وهناك أيضاً 44 جامعة مفتوحة في الأقاليم و930 جامعة في المحافظات ومراكز للتعليم المفتوح في الأقضية والنواحي بلغ عددها 2021 مركزاً. ويبلغ عدد المدرسين العاملين بدوام كامل 40 ألف مدرس، ويشكلون العمود الفقري لنظام حديث للتعليم المفتوح عبر وسائط الإعلام المرئية والمسموعة، بما في ذلك التعليم عن بعد في خطة شاملة.

إننا في عصر تتدفق فيه المعلومات، وهذا سيعزز دور الجامعات المفتوحة التي تنشر العلم عبر القنوات الإذاعية والتلفازية. وباعتبارنا دولة نامية يجب أن نعي أهمية تطوير التعليم وفقاً للواقع الصيني وخصوصياته. وهذا الواقع يشير إلى ضرورة عدم إهمال التعليم والتدريب المنهي من قبل هذه الجامعات؛ لكي نتمكن من تلبية احتياجات المجتمع وعامة الشعب على أدنى المستويات. ولقد ثبت أن التعليم المفتوح يعطي مردوداً كبيراً باستثمار ضئيل نسبياً.

بقي أن أشير إلى أمر يستحق أن نوليه بعض الاهتمام يتمثل في أسلوب التعليم الذي يبدو لي أحياناً مملاً، ويفتقر إلى الحيوية، وكثيراً ما يكرر المدرس ما ورد في الكتاب دون الالتفات إلى شرح المضمون؛ لذا أعتقد أننا بحاجة لجعل العملية التعليمية أكثر فاعلية وجاذبية باستخدام المزيد من الوسائل السمعية – البصرية في شرح المادة للطلاب.

7.15 إنشاء دورات تدريبية في مجلس الدولة

المحاور:

من المعروف أن مجلس الدولة ينظم دورات تدريبية لقادة الأقسام يدعى إليها علماء وخبراء لإلقاء محاضرات، في شتى المجالات، فما مدى نجاح مثل هذه الدورات، خاصة وأن كبار المسؤولين قلما يجدون الوقت الكافي؟

لي لانكينغ:

يعنى مجلس الدولة عناية خاصة بموضوع التعليم المستمر لكبار المسؤولين في الدولة. وقد دأب المجلس على الطلب من المسؤولين ارتياد مدرسة الحزب بالتناوب وكذلك المعهد الإداري لموظفي الدولة. لكن هذا لا يكفي وحده؛ بمعنى أنه على قادتنا ألاَّ يتوقفوا عن طلب العلم والمعرفة التي تؤهلهم لمواجهة التحديات والظروف المستجدة وخاصة في عصرنا الحالي، حيث تنمو المعرفة وتتشعب باستمرار.

وبصفتي نائب رئيس الحكومة للشؤون العلمية والتكنولوجيا كان من الطبيعي أن أولي هذا الموضوع اهتماماً أكبر، ولهذا كنت كل أسبوع أقوم بدعوة خبير للاستفادة من علمه واطلاعه في مجال معين، وضَلِلْتُ أفعل ذلك سنوات عدة جنيت في أثناءها فائدة كبيرة.

وقد نصحت زملائي في المكتب العام لمجلس الدولة باتباع هذا النهج، وقد عملوا بنصيحتي وصاروا يجتمعون كل ثلاثة أشهر للاستماع إلى محاضرة حول العلم والتكنولوجيا.

وبعد مدة دعا رئيس الحكومة (جو رونغي) كبار العاملين في مجلس الدولة ورؤساء الشعب لسماع هذه المحاضرات، حيث تم إلقاء 22 محاضرة، وقد كان بين هؤلاء المحاضرين خبراء وعلماء بارزون أمثال: عالم الفيزياء (تسانغ داولي) الحائز على جائزة نوبل، عَرَضَت المحاضرات موضوعات شملت الفيزياء والطب وعلوم الأحياء وتكنولوجيا المعلومات، والتكنولوجيا الحيوية وحماية البيئة، وتخصصات أخرى عديدة.

وقد أسهمت هذه المحاضرات في نشر المعرفة والروح العلمية، ومكنت أعضاء مجلس الدولة من اتخاذ عدد من القرارات المهمة حول دور البحث والتطوير واستخدام نتائج البحث العلمي في القطاع الصناعي.

وفي عام 2002 أقامت وزارة الثقافة بالتعاون مع بعض الجهات الأخرى «منتدى التاريخ والثقافة» حضره كبار المسؤولين في الوزارات في بكين، وشارك في المنتدى عدد من المفكرين والخبراء، وبلغ عدد الحضور 1200 شخصٍ. وقد عدّ الكثيرون أن مثل هذه المنتديات مفيد لموظفي الدولة باعتباره شكلاً من أشكال التعلم المستمر الذي نتحدث عنه.

كان من تداعيات مسيرة الإصلاح والتحديث والانفتاح على العالم الخارجي أن أصبحنا في تواصل مع البلدان الأجنبية، وهذا التواصل يتنامى يومياً على صعيد التبادل التجاري والثقافي. وهنا أود أن أشير إلى أن قادتنا ما زال ينقصهم تعلم اللغات الأجنبية، وهذه نقطة ضعف ينبغي التنبه لها ومعالجتها.

وعملاً بتوجيهات الرئيس جيانغ زيمين وبعد التشاور مع وزارة المعارف والجهات الحكومية المعنية قمنا بإعداد دورات تعليمية لتدريس اللغة الإنكليزية لكبار المسؤولين في الوزارات كافة، وحددنا ثلاثة أهداف لهذا الغرض:

1- تمكين المسؤول من التخاطب بالإنكليزية في حدود معينة.

2- أن يكون قادراً على التراسل بالإنكليزية المألوفة في مناسبات رسمية معينة أعد لها سلفاً في المجال الدبلوماسي أو في مجال التبادل الثقافي والتجاري.

3- أن يكونوا قادرين على التحدث باختصار عن وظائف الهيئات أو الدوائر التي يترأسونها.

ويفترض أن تشكل هذه الدورات التعليمية الخاصة أساساً لمواصلة دراسة اللغة الإنكليزية وإتقانها. واستناداً إلى تجربتي الشخصية في هذا المجال أستطيع القول: إن هناك ثلاثة مستلزمات لتعلم هذه اللغة أو غيرها: تتمثل في الرغبة في التعليم، والتطبيق العملي والمثابرة، وأخيراً الثقة بالنفس. ويقيني أن هذه الدورات قد أخذت تحقق الأهداف المرجوة منها.

إن أهمية هذه الدورات تكمن في اعتبارها نموذجاً عملياً يحتذى، وأملنا أن يصبح التعلم المستمر مدى الحياة تقليداً اجتماعياً. أما بالنسبة لقولك: إن المسؤولين لا يمتلكون الوقت الكافي للتفرّغ للدراسة، فأقول: يستطيع المرء أن يجد الوقت إذا بذل جهداً أكبر في توزيع وقته، وهذا ليس بالأمر المستحيل وخاصة إذا أدرك أن ما يفعله سيعود عليه بالنفع.

وبالإضافة إلى مدارس الحزب والمعاهد الإدارية الحكومية، عمدت جُلُّ الجامعات والكليات التقنية والمهنية العليا إلى إنشاء معاهد للتعلم المستمر وتعليم الكبار كما أعدت برامج تدريب قصيرة الأمد وهذه ظاهرة جيدة آمل أن تستمر.

7.16 بناء مجتمع عماده العلم

المحاور:

حدد المؤتمر القومي السادس عشر للحزب هدفاً يتمثل في بناء مجتمع قائم على العلم، حيث يسعى كل مواطن فيه إلى طلب العلم مدى الحياة، فكيف، ومن أين نبدأ، وماهو السبيل إلى ذلك؟

لي لانكينغ:

تحدث الرئيس جيانغ زيمين في التقرير الذي قدمه في المؤتمر القومي السادس عشر للحزب عن رؤيته حول مجتمع يعمه الرخاء، ومفهومه لهذا المجتمع يتمثل في قيمه الأخلاقية وإنجازاته الثقافية والعلمية وقدرته على توفير التعليم لجميع أبناء الشعب بحيث تصبح الرغبة في التعلم أمراً طبيعياً.

ينص قانون التعليم الصيني على توفير التعليم للمواطنين بدءاً من مرحلة الحضانة والمراحل التي تليها، الابتدائية والثانوية والتعليم العالي، ويتضمن القانون تطبيق التعليم الإلزامي مدة تسع سنوات والتعليم المهني وتعليم الكبار، والأنظمة التي تحكم الامتحانات الرسمية والاعتماد الأكاديمي ومنح الشهادات أو الدرجات العلمية.

وفي اعتقادي أن أي نظام تعليمي حديث يجب أن يكون له صفتان: أولهما: المرونة، بمعنى عدم التقيد بنمط أحادي، وثانيهما: أن تكون جميع أشكال التعليم متعددة المستويات ومترابطة ومنسجمة مع متطلبات التنمية الاقتصادية ومن جملتها تطوير البنية التعليمية والسعي الدائم لتحديثها.

لا يمكن بناء مجتمع متعلم إلا إذا وفرنا للمواطن الوسائل والأسباب التي تدفعه لطلب العلم، وقد حدد الرئيس جيانغ زيمين في المؤتمر القومي السادس عشر للحزب الهدف الذي يجب أن نسعى لتحقيقه، والمتمثل في جعل التعليم الثانوي شاملاً إلى جانب القضاء التام على الأمية بحلول عام 2020.

وبذلك نكون قد ضمنا عشراً أو إحدى عشرة سنة من التعليم المدرسي لكل فرد كحد وسطي، وهذا يشكل أساساً لبناء مجتمع متعلم، إن لكل إنسان الحق في طلب العلم، وهذا

حق يجب أن يكفله القانون. والتعليم الذي يتلقاه الفرد في المدرسة لا ينبغي أن يكون نهاية المطاف، بل القاعدة التي ينطلق منها هذا الفرد لاكتساب المزيد من العلم والمعرفة في أثناء حياته العملية.

إن ما يميز الإنسان المتعلم يتجلى في قدرته على التفكير والتحليل وكذلك المهارات التي يتقنها، وفي نهاية الأمر يتطلب التعليم المستمر أو الأصح التَّعَلُّمُ المستمر مزيجاً من المبادرة الفردية والعمل الجماعي.

إن جعل التعليم جزءاً لا يتجزأ من حياة المجتمع يستلزم تأمين وسائل التعليم والموارد البشرية وتسخيرها لخدمة المواطنين في المدن والأرياف، وجعل المواطنين أنفسهم يشاركون في العملية التربوية.

أما على صعيد التربية الوطنية فيجب أن يكون جميع المواطنين على اطلاع أوسع بنظامنا القضائي، وكما صرح الرئيس في خطابه في المؤتمر يجب أن نواصل مساعينا في «تحصين المجتمع بالعلم والمعرفة والمثل العليا»، يجب أن نسعى لنشر الثقافة ومحاربة التخلف. كما يجب بالقدر نفسه أن نرسخ الاشتراكية الحقة في محيطها الصيني وأن يكون شعارنا الدائم خدمة الشعب، وفي الوقت نفسه العمل على زرع التعاون والإخلاص في القول والعمل. وينبغي أن نعزز دور التربية الأخلاقية على المستويين الاجتماعي والفردي. وأعود لأشدد على أهمية بناء شخصية الفرد ورفع مستواه الثقافي والأخلاقي والإيديولوجي والانتماء إلى الأسرة والبر بالوالدين. وقد وصف ماركس رؤيته للمجتمع الشيوعي بأنه مجتمع أسمى من المجتمعات التي سبقته من حيث إنه يتيح للفرد أن ينمي قدراته وملكاته.

من هذا المنطلق يجب أن نفهم كلمات الرئيس جيانغ زيمين عندما تحدث عن إيجاد مجتمع يسعى كل فرد فيه إلى طلب العلم والمعرفة. عسى أن يتحقق هذا الهدف قبل نهاية القرن الحادي والعشرين.